MÉMOIRES D'UN ANE



خواطر حمار

وهى

مذكرات فلسفية واخلاقية على لسان حمار

تأليف الكونتس دى سيجور

ترجمة المرحوم حسين الجمل



دكتور حسن عز الدين الجمل

طبيب باطنى

أشرف على إصدار الطبعة الثانية

٢٣ يوليو ١٩٣٢



اشتريته من معرض بغداد الدولي للكتاب
في ٢٣/ ربيع الآخر/ ١٤٤٢هـ
٩/ ١٢/ ٢٠٢٠م
سرمد حاتم شكر

خواطر حمار

وهى

مذكرات فلسفية واخلاقية على لسان حمار

تأليف الكونتس دى سيجور

ترجمة المرحوم حسين الجمل

والد

دكتور حسن عز الدين الجمل

طبيب باطنى

أشرف على إصدار الطبعة الثانية

٢٣ يوليو ١٩٣٢

مقدمة النـاشر

خواطر حمار

هذا عنوان غريب في اللغـة العربية ، ومفاجأة جديدة في الكتب العصرية ، ونوع طريف من الحكاية على السنة الحيوانات . اذا كان مستحدثاً في هذا العهد فما هو بالجديد في الآداب الشرقية . فقديماً قرأنا كتاب كليلة ودمنه لابن المقفع ، وحديثاً اطلعنا على كتاب العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال . ولولا براعة الاغراب في الوصف ومعرفة المراد بالكتاب لكان جديراً أن يكون عنوانه « مذكرات اخلاقية فلسفية على لسان حمار »

***

ولقد شاهدنا أن اكثر ما تخرجه المطابع المصرية في هذا العصر ، وهي فيه اكثر ما كانت عملا ، لا يعدو الا قليلا ، نوعين اثنين من الكتب: الكتب العلمية ، والروايات الغرامية ، أو الجنائية . فاما الكتب العلمية فمكانها المدارس وقراؤها الطلبة ، واما الروايات فاكثر قرائها ناشئة الجنسين من الطلبة ، فتيان وفتيات وهم اذا فرغوا من فصول الدراسة وحل زمن العطلة الصيفية انكبوا على تلك الروايات ويسوء الآباء ورجال التربية والأخلاق ان اكثر تلك الروايات

مشحون بالمغريات من الحوادث الشائنة ، والمخزيات من الفظائع المدهشة ، وهي سيئة الأثر في انفس الناشئين بما تقرب اليهم من الجرائم والمنكرات ، وبما تكشف لهم عن وجوه من الشر والموبقات ، كانت مستترة عنهم وكانوا هم عنها غائبين لولا تلك الكتب المجرمة ، وقد كان اولى لهم الجهل بها ، فاننا ممن يرون أن من الجرائم نشر اخبار الجرائم .

***

وكان حقاً علينا وعلى القائمين بخدمة الآداب في الشرق ، أن نتخير لمطالعة الناشئة ومحبي الفكاهة والمسامرة طائفة من الكتب تكون مصونة من ذلك التبذل ، بريئة من تلك العيوب .

***

ودعانا الى ايثار هذا الكتاب بالاختيار ما تضمنه من الحكمة البالغة ، في الفكاهة السائغة ، والموعظة الحسنة ، في الاسلوب الشائق ، واعجبنا من عبارته انها ليست بالجد المضني ولا بالهزل الساخر

وهو كتاب وضعته الكونتس دي سيجور ، من مشهورات الكاتبات باللغة الفرنسية ، الغنية بالكتب المؤلفة للطلبة والناشئين ، مما روعي في موضوعه القرب من مداركهم والمناسبة لأذواقهم .

فاقترحنا نقله الى اللغة العربية ، من أجل ما بيناه من الأسباب ، على الكاتب العصري المرحوم حسين الجمل . وهو كاتب معروف

لدى الأدباء اكثر من معرفته عند جمهور القراء ، اذ كان توظفه في الحكومة يجعل عمله في الرسميات ، وكان ذلك يقضي عليه بالتنكر فيما ينشر، ووضع امضاآت رمزية [1] على كثير من رسائله المنشورة في الجرائد والمجلات ، فأجاب الاقتراح ، وكان عند حسن الظن في أدبه، اذ أتحفنا بآية مختارة فى فن الترجمة باسلوب ممتع ، هو السهل الممتنع، ترى المعاني فيه منطبقة علي الأصل انطباق الكف على الكف ، وكأن الترجمة فى اللغتين مرآة تجمع بين الحسناء وخيالها .

***

وانا لنرجو أن يكون ما تحراه الأستاذ المترجم فى ترجمته من تسهيل اللفظ وتيسير المعنى وسلاسة الانشاء داعياً الى حسن القبول واقبال اكبر عدد من القراء ؟

الناشر

إلياس أنطون إلياس

١٨ ربيع الأنوار ١٣٥١ هـ. الموافق ٢٣ يوليو ١٩٣٢

---

(١) نذكر منها امضاء « حسان بن ثابت » التى وقع بها عدة مقالات فى الاهرام والمقطم والافكار

مقدمة المترجم

الرفق بالحيوان معروف في الشرق قبل الغرب بما سبق اليه الشرقيون من الحضارة والمدنية ، و بما أوحت اليهم الأديان السماوية من رقة العواطف والرحمة الانسانية

ولقد كان المصريون القدماء يكرمون بعض الحيوانات تكريماً ترقى الى حد التقديس،وانتهى الى درجة العبادة . واذا كان الغربيون قد سبقونا في هذا العصر الى تأليف الجمعيات للعطف عليها والعناية بها ، فقد كان ملوك العرب يجودون بالرعاية العظيمة للحيوان ، وكان الناس على دين ملوكهم . وروى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين كان يركب دابتة فاذا أجهدها السير نزل عنها يمشي اراحة لها

وشوهد رجل من العرب في يده قطع من الخبز يكسرها و يلقيها بجانب جدار بيته الى النمل فقيل له ، مالك وللنمل ؟ فأجاب : « هن جارات ولهن حرمة » . فما أحسنها رقة جديرة بالاحترام . وما أجمله عطفاً قل مثله في هذه الأيام

ومن الحيوان المتستأنس حيوان هادىء متواضع هو رفيق الفلاح المصرى فى كده وشريكه فى تعبه ، يستقبل الشمس معه للعمل في البكرة ، ويودعها معه للراحة فى الأصيل ، ذلك هو الحمار

الذي يعمل لصاحبه أكثر من عمله لنفسه، فان كان لهذا سُمّي حماراً ، فحبذا الحمار

وقد سبق الى انصاف هذا الحيوان كاتبة من شهيرات كاتبات الفرنسيين بهذه الرسالة التى جعلت عنوانها « خواطر حمار » وابدعت الابداع كله فيما حدثتنا به عنه من عجائب الحوادث ، وما صدقت فيه رواية الخيال ، فان فاتني السبق فى هذا المضمار فلا أقل من اللحاق بها والنقل عنها وترديد صوتها اعترافاً بجميل هـذا الحيوان الوديع ، الذي يستحق عنـدنا فوق جزاء المعاونة على العمل بحسن الصنيع ، كرامة أنه كان مطية لعيسى عليه السلام ، وهو المتواضع الرفيع

ونظرة أخرى فى هـذا الـكتاب ، تنبيء الناظر فيه بما استودع من محاسن الآداب ، وتدل على براعة المؤلفة وحسن تصويرها لوجوه الموعظة ، وحـذقها الـكامل فى ادخال الحـكمة على القلوب وازجاء الفكاهة الى النفوس ، من أقرب الأبواب بأيسر الأسباب ؟

مصر الجديدة　　　　المترجم　　　　حسين الجمل

آخرُ كلماتِ المترجم : المتوفَّى فى ١٨ ربيع الأنوار ١٣٥١ هـ . الموافق ٢٣ يوليو ١٩٣٢ :

اهداء الكتاب

الى سيدى الصغير هنرى

انت يا سيدي الصغير كنت بى رحيما ، ولكنك كنت إذا ذكرت الحمير تحدثت عنها باحتقار لها جميعاً ، فلأجل أن تعرف عن علم ، حقيقة الحمير و يصدق حكمك عليها ، كتبت هذه المذكرات وأهديتها اليك

وسترى ، يا سيدي العزيز ، كيف كنت أنا المسكين ، ورفقائي من الحمير نعاني من الناس قسوة المعاملة ، ثم تتحقق ان لنا نصيباً عظيما من الذكاء وحظاً وافراً من المواهب الطيبة ، وستعرف كيف أنني كنت شقياً فى عهد حداثتى وكم كنت أجازى بالعقاب الشديد ، ولكن الندم والتوبة والعمل باخلاص وحب ، كل ذلك اعاد الي محبة رفقائي و رضا سادتى .

فاذا فرغت من قراءة هذا الكتاب فانك تنتهي الى الحكم بأنه بدلا من أن يقال « بليد كالحمار ، جاهل كالحمار ، عنيد كالحمار » يجب أن يقال : « ذكى كالحمار ، عالم كالحمار ، متواضع كالحمار .

ثم ترى بحق ، أنت وقومك ، ان هذه أوصاف صادقة ، وانها اذا اعتبرت مدائح فلم تكن عبثاً

هي هان[1] ! يا سيدي العزيز ، انني أتمنى لك أن لا تكون في النصف الأول من حياتك شبيهاً بخادمك المخلص ؟

كديشون

الحمار العالم



(١) هاتان اللفظتان أو «هَـاءْ هَـاءْ» هما حكاية لصوت الحمار وهو ينهق

خـــواطر حمـــار

سيدى

لا أتذكر جيداً عهد طفولتى ، وأظن انني كنت في الغالب بائساً مثل كل جحش ، وكنت لطيفاً ظريفاً كسائر الحمير

ولـكنني متحقق من أنني كنت قوى الذكاء ، كما أنا الآن في سن الهرم أشد ذكاء وأحسن تصرفاً من رفقائى

ولقد خدعت سادتى ، ومكرت بهم غير مرة ، وهم لم يكونوا إلا من بني آدم ، ولذلك لم يستطيعوا أن يدركوا مقدار فهم حمار وبراعة حيلته .

وسأقص عليك في هـذا الـكتاب بعض الأدوار التى مثلتها معهم فى زمن الصبا وعهد الشبيبة ؟

كديشون

الحمار العالم

١
يـــوم السوق

لما كان الناس لا يعرفون كل ما يعرفه حمار عالم ، فانكم يا من تقرأون هذا الكتاب تجهلون بلا شك ماهو معروف لكل رفقاني الحمير من أنه يقام في كل يوم ثلاثاء سوق في مـدينة « ليجل » ، يباع فيها الخضار والزبدة والبيض والجبن والفواكه وأشياء أخرى فاخرة .

وكان ذلك اليوم يوم شقاء لرفقاني المساكين ، وكان لي كذلك أيضاً قبل أن تشتريني سيدتي الـكبيرة جدتك الـكريمة ، التي أعيش الآن عنـدها . فقد كنت مملوكاً لفلاحة شرسة قاسية . تصور يا سيدى الصغير كيف أنها كانت تبالغ فى القسوة حين تجمع كل البيض الذى يبيضه ما عندها من الدجاج ، وكل ما يتجمع عندها من الدجاج ، وكل مايتجمع عندها من الزبدة والجبن الذى يستخرج من لبن ما تملك من البقر ، وكل ما ينضج عندها أثناء الأسبوع من الخضر والفاكهة ، ثم تملأ بكل ذلك سلالا تضعها فوق ظهرى .

فاذا تم لها كل ذلك وكنت محملا بالاثقال في حالة لا أستطيع معها التحرك ، كانت تجيء هذه المرأة الثقيلة وتجلس أيضاً فوق السلال ، ثم تسوقني بغلظة وعنف الى أن أصل الى السوق ، وكان بينه وبين منزلها مسافة فرسخ ، وكنت دائماً في شدة الغيظ الذي لا أستطيع

اظهاره لأنني أخشى وقع العصا التي كانت تحملها دائماً ، وهي عصا غليظة معقدة كانت تؤذيني أذى شديداً كلما ضربتني بها . وكنت كلما اقترب وقت الذهاب الى السوق اشهق وانهق برقة استعطف بهـا سادتي . فكانت هي تسرع الي وتقول ، اسكت أيها الكسول ولا تصدعنا بصوتك المنكر « هي ! هان ! هي هان ! » كأنك تحسب هذا الصوت موسيقياً مطرباً ، ثم تنادي ولدها « جول » وتقول له : قرب هذا البليد من الباب لكي أضع الاحمال على ظهره : هناك سبت البيض وسبت آخر ، والجبن والزبدة ، والخضار اخيراً ، وهذا حمل تحصل من بيعه في السوق على بضعة ريالات . ثم تدعوا بنتها مريم ، بعد تشييد الحمل على ظهري فتقول لها ، أحضري كرسياً لكي تصعد أمك على الحمار . فاذا ركبت تناولت العصا وبدأت تضرب ضرباً متكرراً : وكأنها تحسب الضرب مداعبة ضرورية . ثم تسير ولا تـكاد العصى تقف أو تكف فى يدها عن النزول على رقبتي وعلى جنبي والخاذي .وكنت أسرع فى السير واحياناً أجري ومع كل ذلك فلا تنقطع الفلاحة عن استمرار الضرب . فكان من حقي ان اقسو وأن انتقم ،بل حاولت الرفس لكى ألقيها على الأرض ، ولكن كان الحمل ثقيلا ، فلم أستطع هذه الحركة ، ولـكني كنت دائماً أتموّر فى الطريق يميناً وشمالا ، وكنت مع ذلك مسروراً لأنني أشعر باضطرابها فوقي . فكانت تهددني وتقول لى سأصلح هذا الاعوجاج

بالعصا ، واعلمك الاستقامة في السير . ويستمر الضرب حتى كان يؤلمني كثيراً المشي في الطريق الى أن نصل الى السوق ، ثم ترفع الأحمال التى على ظهري وتُلقى على الأرض

وتذهب سيدتى بعد ان تربطني لتأكل ، ومع أنني كنت أكاد أموت من الجوع والتعب فأنها لم تعطني لا شيئاً من الماء ولا قليلا من البرسيم . لذلك احتلت على الاقتراب من سبت الخضار أثناء غيابها فرطبت لسانى وفمي بما ملأت به معدتى من الخضروات والكرنب ، ولم أذق في حياتي أطعم من هذه الخضروات ، وانتهيت من التهام آخر كرنبة في اللحظة التى عادت فيها سيدتي .

فصرخت حين أبصرت السبت فارغا ، ورأيتها ممتقعة ، متألمة لأنها أدركت فعلتى .

ولا اكرر على مسمع القاريء الفاظ الشتم والسباب التى هالتها علي وكانت لهجتها حادة شرسة .وكانت وهى غاضبة تقول من الكلام ما احمر منه خجلا انا الحمار ، ويندى له جبينى

ولم يكن مني الا أننى كنت اتلمظ ، ثم وليتها ظهري ، فتناولت عصاها واستمرت في الضرب بقسوة الى ان ضاع رشدي ونفد صبري فرفستها ثلاث رفسات هشمت الأولى أنفها وكسرت بعض أسنانها ، وخلعت الثانية يدها ، وأصابتها الثالثة في معدتها والقتها على الأرض .

فهرع الى أشخاص كثيرون واثقلونى ضرباً واهانة . ثم حملوا

سيدتى ولا أدري الى أين ، وتركونى مربوطاً بجانب المكان الذي القيت فيه أحمالى . و بقيت وحدي فيه مدة ، فلما رأيت أنه لا يفكر أحد في ، أكلت ما في سبت آخر من الخضار اللذيذ ، ثم قرضت الحبل الذي ربطونى به وعدت بهدوء الى طريق القرية .

ودهش الذين رأوني في الطريق عائداً وحدي وصاروا يتهامسون و يتضاحكون .وقال بعضهم أنه لا يحمل شيئاً فأين صاحبته ، وأين ذهبت أحماله ؟ فقال آخر لا بد من أنه فعل فعلة سيئة . وقالت امرأة : قربوه ليركب هذا الطفل على بردعته ، فقال زوجها أنه يستطيع أن يحملك أنت والطفل .

وأردت أن أحسن ظنهم بي وبحسن أخلاقي فاقتربت بلطافة من الفلاحة ممهداً لها سبيل الركوب على ظهري . فقال زوجها وهو يساعدها على الركوب ، ليس خبيثاً هذا الحمار كما ظننت .

فابتسمتُ لهذا الكلام لأن الحمار الذى تحسن معاملته لا يكون خبيثاً . فأننا لا نكون مغضبين عنيدين إلا إذا أردنا أن ننتقم ونجازي على ما يصب علينا من الأذى والاهانة ، أما إذا عوملنا برفق فاننا نكون طيبين أحسن من كل أنواع الحيوان .

وذهبت مع هذه المرأة وطفلها الى منزلها ، وكان الطفل جميلا عمره سنتان فأحبني ولاطفني وأراد أن أبقى عندهم ، ولكني فكرت في أن هذا لا يكون من الشرف ، فان سيدتي هى التي اشترتني فأنا

مملوك لها . ولقد هشمت أنفها وخلعت يدها وآذيت معدتها وهــذا كاف في سبيل الانتقام .

وأدركت أن الأم تهم بموافقة طفلها على استبقائي عندها فأسرعت فقفزت من جانبها ، وقبل أن تستطيع اللحاق بي لتمسك لجامي ركضت حتى وصلت الى المنزل .

وكان أول من أبصرنى مريم بنت سيدتى فقالت ،

هــذا كديشون ، وقد عاد اليوم مبكراً ، يا جول اخلع عنه البردعة . فقال جول ، كثيراً ما يشغلنا هذا الحمار . والا فلماذا عاد وحــده ؟ أنا أراهن على أنه هرب . وشــتمني ثم ضـربني برجله على فخذي وقال، لو تحققت أنك فررت من السوق لضربتك مائة ضربة .

وخلع عني البردعة واللجام فابتعدت راكضاً . ولم أكد أتوغل في المزرعة حتى سمعت أصواتاً من جهة العزبة(المزرعة)، فتلفت فرأيت سيدتي قد عادت محمولة ، وكان أولادها يصيحون فأصغيت لما يقولون فسمعت جول يقول لأبيه .

انني سآخذ كرباج العربجي (الحوذي) ، وسأربط الحمار في شجرة واضربه حتى يسقط على الأرض

فقال له أبوه اذهب ولـكن لا تقتله ، فنفقد الثمن الذي دفعناه ، لانني سأبيعه في السوق القادم

وبقيتُ مضطرباً من الخوف لمـا سمعت ، حين أبصرت جول يجري الى الاصطبل يبحث عن الـكرباج (السوط) ، وصار الأمر واضحاً وتوقعت الأذى فلم أفـكر هـذه المرة في استفادتهم من الثمن الذى اشتروني به وركضت الى الزريبة التي تحجبني عن النظر ، وجريت بسرعة وقوة حتى كسرت في طريقي كثيراً من فروع الأشجار ووصلت الى آخر المزرعة . ثم جريت في الغيط (الحقل) ، واستمريت أجرى طويلا وأسرع كثيراً وأنا أحسب أنهم يطاردونني ، وأخيراً حين عجزت عن الاستمرار في الجرى وقفت وأصغيت فلم أسمع شيئاً . وصـعدت ربوة فلم أر أحـداً ، فنعست واسترحت وابتهجت بتخلصي من شراسة هؤلاء الفلاحين الاجلاف

ولـكنى سألت نفسي ، ماذا يكون من أمري . فاذا بقيت في البلد فسيعرفوني وسيمسكونني ثم يرسلونني الي العزبة ، فماذا أصنع وأين أذهب ؟

ونظرت حولي فرأيت نفسي وحيداً بائساً . وبكيت حالتي المحزنة وكنت على مقربة من غابة جميـلة ، فانتعشت وقلت انني سأجد في هذه الغابة الحشيش الرطب والمـاء العذب وما أشتهي من

غذاء . فأقمت فيها أيّاما ثم ذهبت الى غابة أخرى بعيدة جـداً عن مزرعة سادتى .

ودخلت هذه الغابة ثم أكلت الحشيش المبسوط على الأرض بلذة وشربت المـاء الجارى من نبع عذب بهناء .

واقترب الليل فاضطجعت على بساط أخضر من الحشيش بجانب شجرة صنوبر . ونمت هادئا الى اليوم التالى .





٢
المتابعة

فلما أصبحت تذكرت في اليوم التالي ، بعد أن أكلت وشربت ، ماوصلت اليه من الراحة والسعادة . وقلت في نفسي ، ها أنا نجوت وهم لن يدركوني ، وبعد مضي يومين اكون فى اثناءهما قد استكملت راحتي ، سأمعن في الابتعاد عن هذا المكان أيضاً .

ولم أكد أفرغ مما فكرت فيه حتى سمعت نباح كلب عن بعد ، أعقبه نباح كلب آخر . ثم تبينت زمرة من الكلاب ، فصرت قلقاً خائفاً ، وقمت فاتجهت الى نهير لمحته في الصباح . وبمجرد وصولي اليه سمعت صوت جول يخاطب الكلاب :

اذهبوا يا كلابي فابحثوا جيداً حتى تجدوا ذلك الحمار اللعين ، فتعضوه وتمزقوا جلده وتحضروه إلي لأقطع الكرباج على ظهره .

فوقعت من شدة الخوف ، ولكني عدت الى التفكير فقلت ، انني اذا سرت في الماء فأن الكلاب لا تستطيع ادراك أثر أقدامي ، وامعنت في السير في مياه النهير بدون توقف زمناً طويلا . وابتعد نباح الكلاب عني ، وكذلك صوت جول . وانتهيت الى أنني لم أسمع منهم شيئاً . ثم تعبت وعطشت وجعت فوقفت هنيهة لأشرب . وأكلت مما حول النهير من العشب ، وكنت أشعر ببروده اطرافى

ولكني لم أجسر على الخروج من الماء لأنني خفت من متابعة الكلاب وشعورها بخطواتي ، ولما استرحت عدت الى السير بجانب النهر دائماً الى أن خرجت من الغابة ، فوجدت انني وصلت الى مرج متسع فيه من الثيران نحو خمسين : ونمت في الشمس بجوار البرسيم ولم تلتفت الى الثيران أدنى التفات ولم تعرنى اهتماماً حتى رأيت انني أستطيع أن آكل وأن أنام كما أشتهي .

وفي المساء دخل المرج رجلان ، وقال اكبرهما للثاني ، ألا ترى يا أخي ان نبيت الثيران هذه الليلة فى حظائرها ؟ فأنه يقال أنه يوجد في الغابةذئاب . فأجابه : ذئاب ! من حدثك بهذه السخافة ؟

فقال : ناس من مدينة ليجل ، وقيل ان حماراً من تلك المدينة اختطف وافترس في هذه الغابة

فأجاب : أسكت يا أخي فأن كنت تعني حمار العزبة القريبة منا فأن أهلها غلاظ الاكباد وربما كانوا هم الذين قتلوا الحمار من شدة الضرب ، فقال

— فلماذا اذن يقال ان الذئاب اكلته ؟ فأجاب

— لكي لا يعرف أنهم هم الذين قتلوه . فقال

— على كل حال يحسن ان ندخل الثيران . فأجاب

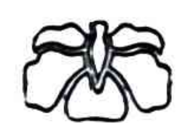
— افعل ماشئت يا أخي فأنني لا اتمسك بالموافقة ولا بالمخالفة .

سمعت هذا منهما وانا لم اتحرك من مكاني وان كنت كثير

الخوف من ان يرياني . وكان البرسيم عالياً يخفيني عن نظرهم . ولحسن الحظ لم تكن الثيران في الجهة التي انا فيها ، فقادوها الى العزبة التى فيها أصحابها .

ولم أخف انا من تلك الذئاب لأن الحمار الذي تحدثوا بقتله لم يكن سواي . وانا لم أحس أثراً لأي ذئب في الغابة . فلذلك نمت ملء جفوني ، واتممت فطوري في الوقت الذي عادت فيه الثيران صباحاً الى المرج وكان يقودها كلبان ضخمان .

ولمحتهما خطفاً حين كان أحدهما يبصرني وينبح بلهجة مهددة ، وجرى نحوي فتبعه الآخر . ما العمل وكيف أفر منهما ، هرعت الى جانب النهير وابتعدت عنهما وسمعت صوت احد الرجلين الذين سمعتهما ليلا ينادي الكلاب ، واستمريت في سبيلي هادئاً متابعاً السير الى أن وصلت الى غابة أخرى لا أعرف اسمها . وأيقنت انني بعدت عن العزبة وعن مدينة ليجل بنحو عشرة فراسخ ، وانني نجوت الآن لأنه ليس يعرفني هنا أي انسان ، وأستطيع أن أظهر بغير خوف من أن يقودني أحد الى سادتي .



٣

الأسياد الجـــدد

عشت هادىء البال فى هذه الغابة نحو شهر ، وضجرت من ، العزلة ، ولـكننى مع ذلك أفضل الانفراد على معيشة البؤس مع الناس.

وزاد همي حين ابصرت الحشائش تقل وصارت قاسيـة ، وتساقطت أوراق الشجر وتجمد الماء وترطبت الأرض .

فقلت وا آسفاه ماذا اعمل اذا مكثت هنا ؟ سأهلك من البرد والجوع والظمأ . ولـكن الى أين أذهب ؟ وماذا يحل بي ؟

وبقوة التفـكير تخيلت طريقة أجد بها ملجأ . فخرجت من الغابة ودخلت قرية صغـيرة قريبة منها . فرأيت فيها منزلا منعزلا نظيفاً وامرأة طيبة جالسة على الباب تغزل . وتأثرت بمنظرها الذى يدل على الطيبة والأسي ، فاقتربت منها ووضعت رأسي على كتفها ، فانبعث من هذه المرأة الطيبة صوت مؤثر ، واسرعت الي ، تحرك كرسيها ، وظهر انها تخوفت ، فلم أتحرك ونظرت اليها بعين هادئة مطمئنة

فقالت : دابة مسكينة . ليس عليها شيء من سِماة الخبث . ثم قالت لي ، اذا لم يكن لك صاحب فانني أُسَرُّ كثيراً ان تكون عندي لكي تخلف حماري جريزون الذي مات من الـكبر ، وبذلك

أستطيع الربح من بيع الخضار في السوق القريبة . ولكن لعل لك أصحاباً يبحثون عنك

وسمعت صوتاً رقيقاً من الداخل يقول :

مع من تتكلمين يا جدتي ؟

فقالت ، اتكلم مع حمار لطيف ظريف جاء ووضع رأسه على كتفي ، ونظر الى بعاطفة لم أستطع معها ان أطرده

فأجابها صاحب الصوت ، سننظر . ولمحت على جانب الباب غلاماً جميلا في نحو السادسة أو السابعة من العمر ، وكانت ثيابه ثياب فقير ولكنها نظيفة ، فنظر الي بعين فاحصة ولكنه كان خائفاً قليلا

وقال لها – هل يمكن ان ألاعبه ؟

– نعم ، بلا شك . ولكن احذر ان يعضك يا جورج . فبسط الغلام ذراعه ولم يدركني ، ولكنه تقدم خطوة واخرى ، ثم استطاع أن يصل الى ظهري

فلم أتحرك خشية ان اخيفه ، ولكنني أدرت رأسي نحوه ولحست يده بلساني

فقال جورج

ما الطف هذا الحمار ، انه طيب القلب فعلاً لأنه لحس يدي

فقالت الجدة :

من الغريب انه وحده ، هلترى أين صاحبه ؟ اذهب يا جورج

الى الفندق حيث ينزل المسافرون ، واسأل عن صاحب هذا الحمار فانه ربما كان مشغولا بالبحث عنه .

جورج – هل أقود الحمار بيدى يا جدتى ؟

الجـدة – هو لا يتبعك . فاتركه يذهب حيث يشاء

وذهب جورج راكضاً فاسرعت السير وراءه . فلما رأى انني اتبعه جاء الي ولاطفني قائلا ، ما دمت تتبعني فانك لا تمنعني من ركوبك ، وقفز الى ظهرى وقال لي : شى . . شي . . حـا !

ومشيت مشياً ليِّناً خفيفاً فرح به جورج . ولمـا وصلت الى الفنـدق وقفت امامه ولم أتحرك كانني مقيد

فقال صاحب الفندق ، ماذا تريد يا ولدى ؟

جئت لأعرف اذا كان هذا الحمار الذى عند الباب هو لك أم لأحد النازلين عندك .

فتقدم مسيو دوفال الى البـاب ونظر الي بامعان وقال ، كلا ليس لي هذا الحمار ولا لواحد ممن أعرفهم . فاذهب وابحث في غير هذا المكان

فصعد جورج على ظهرى وعدت الى السـير به ومشينا وهو يسأل من باب الى باب عن صاحبي . فلم يعرفني أحد . وانتهينا الى الرجوع الى تلك الجدة الطيبة التى كانت مثابرة على الغزل وهي جالسة امام باب منزلها

جورج — يا جدتي . هذا الحمار ليس ملكا لأحد من أهل البلد . فماذا نصنع به ؟ هو لا يريد أن يتركني ، وإذا تمسك به أحد تخلص منه الي .

الجدة — مادام الأمر كذلك فلا يحسن أن تتركه في الليل في العراء فان ذلك يضره . فاذهب به الى اصطبل حمارنا جريزون وقدم له شعيراً وماء ، وسننظر غداً اذا ذهبنا به الى السوق لنتعرف صاحبه .

جورج — وإذا لم نجده يا جدتي ؟

الجدة — نحتفظ به الى أن نسأل عنه ، فاننا لا نرضى أن نترك هذا الحيوان يهلك من البرد في هذا الشتاء ، أو ندعه يسقط في أيدى الغلمان الأشرار الذين يعبثون به ويتركونه يموت من التعب والشقاء

وقدم لى جورج الشعير والماء ولاطفنى وخرج . وسمعته وهو يقفل الباب يقول : —

كم أتمنى ألا يكون له صاحب ، وأن يبقى عندنا .

وفي اليوم التالي قدم لي جورج بعد الفطور رسناً وقادنى الى الباب . ووضعت الجدة فوقي بردعة خفيفة وجلست عليها ، وأحضر لها جورج سبتاً صغيراً من الخضار وضعته على ركبتيها ومشينا الى سوق مامير ، وباعت هذه المرأة الطيبة خضارها في السوق ولم يعرفني أحد . فرجعت مع أسيادى الجدد

وعشت عندهم أربع سنين ، وكنت سعيداً ، فلم أفعل شراً لأحد . وكنت أؤدى عملي جيداً وأحب سيدي الصغير الذى لم يكن يضربنى أبداً ، وهم لم يكونوا يتعبوننى كثيراً . وكان الغذاء كافياً جداً لأنني لست نهماً . ففي الصيف يقدمون قشور الخضار والحشائش التي لا تأكلها الخيل ولا البقر ، وفى الشتاء كان طعامى من الشعير ومن قشور البطاطس والكراث والكرنب ، وهذا يكفينا نحن الحمير

وكانت مع ذلك تمر بى أيام لا أحبها ، هي تلك الأيام التى كانت تؤجرنى فيها سيدتى الى الصبيان المجاورين لنا . وذلك لأنها لم تكن غنية . ففى الأيام التى لم يكن لي فيها عمل عندهم كانت تؤجرني الى غلمان القصر القريب منا ليتنزهون بركوبي ، ولم يكونوا دائماً طيبين

واليك ماجرى ذات يوم في نزهة من تلك النزهات :



٤

القنطرة

كان في الحوش ستة من الحمير مصـفوفة ، وكنت من أقواها وأجملها ، وأحضر ثلاثة من البنات الصغار طعامنا من الشعير . وكنت وانا آ كل أسمع الاطفال يتحدثون

فقال شارل : هيا بنا يختار كل منا حماره . أنا أختار هذا ، وأشار الي بأصبعه

فأجاب الخمسة الاطفال الذين كانوا معه : انك دائمًا تختار لنفسك أحسن الموجود . يجب أن يكون التوزيع بالاقتراع

فقال شارل : كيف يمكن أن نقترع على الحمير يا كارولين . هل يمكن وضع الحمير في كيس والسحب منها كما تسحب الا كر ؟

فأجاب انطوان ، كيف تقول هذا ؟ أليس من الممكن أن نضع نمرة على كل حمار من الحمير السـتة ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ ونضع هذه النمر في كيس ، ثم نسحب النمر على اسم كل واحد فتخرج نمرة كل واحد بحسب حظه ؟

فصاح الباقون أحسنت ! ! وقالوا لارنست وهو أصـغرهم ، اكتب انت النمر (الارقام) على ظهور الحمير وا كتب مثلها على قطع من الورق .

وضحكتُ في سري لأنني رأيت ان هؤلاء الاطفال أغبياء ، ولو كان عند أحدهم شيء من ذكاء الحمار لرأى ان أحسن من هـذا الجهد في الـكتابة والترقيم أن يصـفوا الحمير بجانب الحائط و يقترعوا عليها ، فمن كانت نمرته الاولى أخذ الحمار الأول ومن كانت نمرته الثانية أخذ الثاني ، وهكذا .

وفى هذه الاثناء أحضر انطوان قطعة كبيرة من الفحم ، وكنت الاول ، فـكتب على جنبي بخط كبير ١ . و بينما كان يكتب ٢ على جنب الحمار الذي يليني انتفضتُ بشـدة لـكي أظهر له ان اختراعه الـكتابة بالفحم لم يكن مفيداً ، فأن الفحم الذي كتب به نمرتي تطاير واختفت النمرة ١ ، فصاح الذي كتب منهم شاتماً لاعناً وقال ، سأعيد الـكتابة . و بينما كان يكتب ثانياً نمرة ٢ على جنب الحمار الذي بجواري ، وكان حماراً خبيثاً ، انتفض هو أيضاً انتفاضة شديدة فتطاير ما كتبه بالفحم ثانياً من نمرته ، فغضب انطوان من هذا العمل المكرر الذي ضايقـه فى أثناء الـكـتابة ، ولـكن اخوانه ضحكوا كثيراً وسخروا منه .

وأشرت أنا الى جميع الحمير بأن تنتظر الـكتابة ولا تتحرك . وقد حصـل ما أشرت به ، وعاد ارنست ومعـه النمر فى منديله . و بدأوا يسحبون النمر ، كل واحد يأخذ نمرة ، فعملت اشارة أخرى الى رفقائي ، وأخذنا جميعاً ننتفض ونهتز بسرعة و بشدة ، فذهب ما تـكلفوا من

الفحم وما تعبوا فيه من الكتابة ، وقال أحدهم ، يلزم أن نعود الى الكتابة ، وكانوا متغيظين ، ولكن شارل كان يضحك منتصراً ، أما أرنست والبير وكارولين وسيسيل ولويز فصاحوا فى وجه انطوان ، وكان هو يضرب الأرض برجله غيظاً . وسخطوا وسبّوا جميعاً . فأخذت أنا ورفاقي فى النهيق ، وتنبه الآباء والامهات ، وساقتهم الينا هذه الضجة وعرفوا ماجرى . وأخيراً اقترح واحد من الآباء أن يصفّونا صفاً بجانب الحائط . وبدأ فى سحب النمر لهؤلاء الاطفال .

فسحب نمرة ١ ، فصاح ارنست ، هذا لى !

وسحب نمرة ٢ ، فقال سيسيل ، هذا حمارى !

وسحب نمرة ٣ ، فصاح انطون . وهكذا كلما سحب نمرة نادى واحد من الأطفال الى ان انتهى من الأخير

ثم قالوا ، اذن فلنبدأ السير . وقال شارل ، أنا امشي أولا .

وأجابه أرنست ، وانا الحقُ بك حالا وادركك سريعاً

فقال شارل ، أؤكد لك انك لا تستطيع

فأجاب أرنست ، وأنا أراهن على امكانى ذلك

وبدأ شارل يسوق حماره ، فسار به ركضاً ، وقبل ان يضربنى أرنست بكرباجه أسرعت أنا فى السير بحالة أوصلتنى فى أقرب وقت الى شارل وحماره ، فابتهج أرنست ، وتضايق شارل ، وصار يضرب حماره ويكرر الضرب ، ولكن ارنست لم يكن فى حاجة الى ضربى

لأني جريت بسرعة كأني اسابق الرياح ، وتجاوزت شارل فى دقيقة واحدة ، وسمعت الآخرين يضحكون ويصيحون : ما اسرع الحمار نمرة ١ !!! أنه يجرى كأنه فرس رهان .

وخامرني الزهو فتشجعت واستمريت في الركض به الى أن وصلنا الى قنطرة . فتوقفت فجأة لأنني رأيت لوحاً عريضاً من خشب أرض القنطرة متأكلا منهاراً ، ولم اشأ ان اسقط فى الماء مع ارنست اذا سرت به على القنطرة ، فقفلت راجعاً الى الجماعة التي كانت معنا ، وكانوا متأخرين عنا كثيراً .

فناداني ارنست : كلا كلا : لا ترجع ، استمر فى اجتياز القنطرة ، فقاومت ولم أنتقل ، فضربني بعصاه ولكني لم ابال بل استمريت أمشي نحو الآخرين . فقال لى ، اذهب يا عنيد وتحول الى القنطرة . واستمريت سائراً نحو رفاقي وادركتهم رغم المقاومة والضرب من هذا الغلام الغبي .

فلما أبصره شارل قال له ، لماذا تضرب حمارك يا أرنست مع أنه حمار فاره وقد جعلك تسبقنا وتتجاوز شارل

فأجاب ، ضربته لأنه عاند ولم يستمر فى السير على القنطرة . بل عاد ادراجه ولم يوافقنى على اجتيازها .

فقال له شارل (كيرُلس) ، ذلك لأنه كان وحده ، أما الآن وقد صرنا معاً فأنه سيجتازها مع سائر الحمير

فقلت فى نفسى ، مساكين كلهم ويجب عليّ أن أفكر فى ما يمنع سقوطهم فى الماء ، ويحسن أن أدلهم على أن فى الامر خطراً .

فأسرعت ركضاً نحو القنطرة على ارتياح تام من أرنست وصياح مستمر من رفاقه . فلما وصلت الى القنطرة وقفت فجأة وقفة الخائف المضطرب وحملقت فى مكان الخطر .

فدهش أرنست وحثني على الاستمرار ، فتراجعت بحالة اضطراب زادت فى دهشة أرنست . ولكن هذا الغبي لم يدرك شيئاً مع ان اللوح الخشب المتأكل من القنطرة كان ظاهراً للعيان . واستغرب الآخرون وهم يضحكون من مجهود أرنست فى حملي على المسير ومجهودي فى التوقف عنه ، وانتهوا بالنزول عن حميرهم ، وكان كل واحد منهم يدفعنى ويضربنى بلا شفقة ، ولكنى لم أتحرك .

فصاح شارل ، اسحبوه من ذيله ، فأن الحمير أهل عناد ، تتراجع اذا أرادها الواحد أن تتقدم .

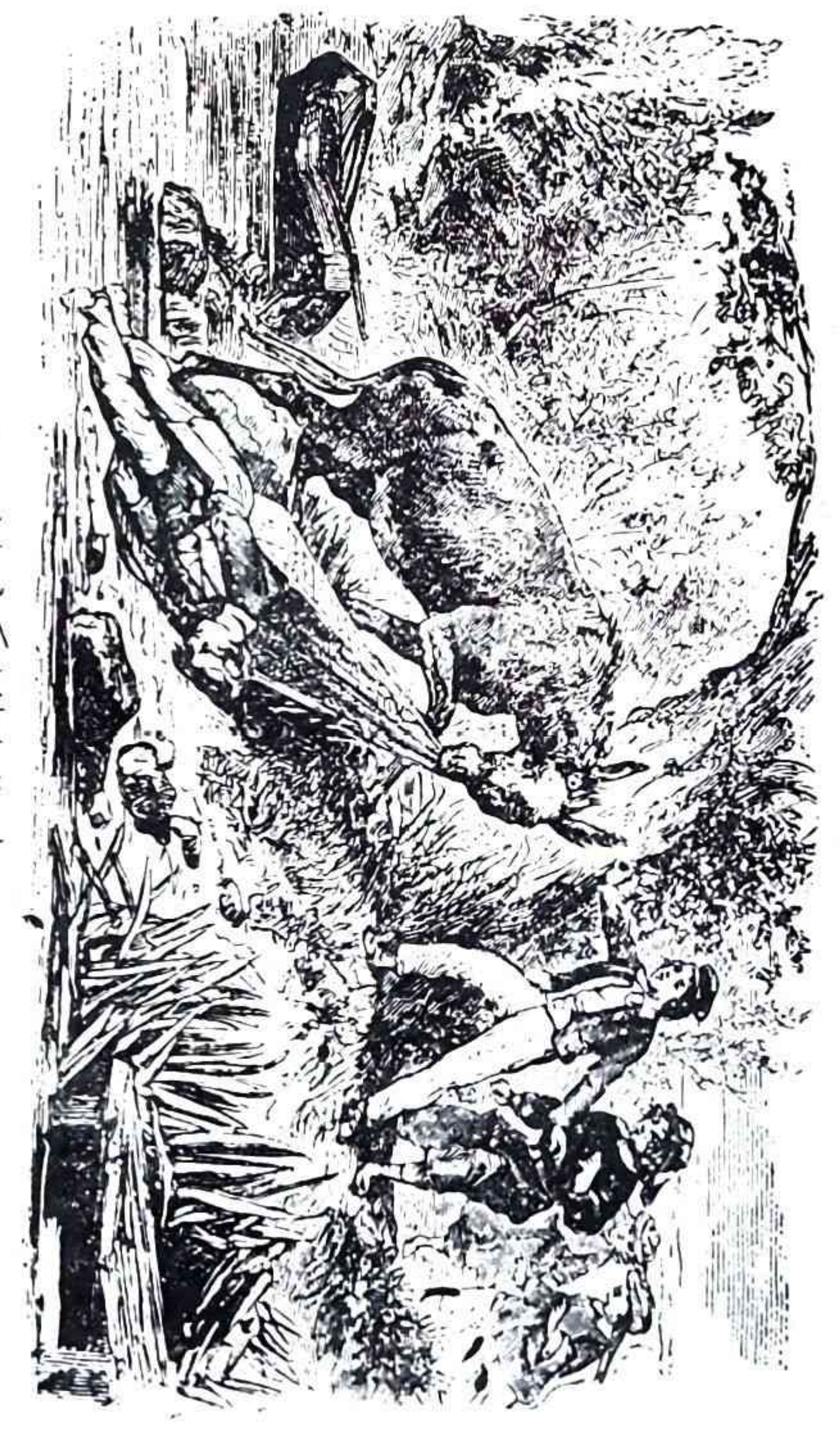
وهمّوا بأن يسحبوا ذيلي ، فدافعت عن نفسي بالتحول عنهم ، فضربوني كلهم ، ولكنى لم أتحرك أبداً

فقال شارل ، انتظر يا ارنست ، سأذهب وأجتاز القنطرة أنا أولا وسيتبعنى بعد ذلك حمارك بغير شك .

وأراد أن يتقدم فاعترضتُه ، وجعلت نفسي بينه وبين القنطرة ، فأرجعوني بقوة الضرب المستمر .

فقلت فى نفسي ، اذا كان هـذا الغبي يريد أن يغرق فانني قد فعلت كل ما فى وسعي لنجاته وما دام يريد أن يشرب من ماء النهر بسقوطه فيه فلينزل ما دام يريده على كل حال .

ولم يكد حمار شارل يضع قوائمه على اللوح المتأكل من القنطرة حتى تكسر اللوح وسقط الحمار وشارل فى الماء . ولم يحدث أدنى خطر لرفيقي الحمار لأنه كان يعرف العوم مثل كل الحمير ، أما شارل فكان يحاول النجاة ، ويصرخ بأعلى صوته دون الوصول الى ما يتمنى من الانقاذ . ثم صاح قائلا احضروا مدرة ! احضروا مدرة ! فصرخ الاطفال وجروا اليه من كل ناحية ، وأبصرت كارولين مدرة طويلة فالتقطتها ومدتها الى شارل فقبض عليها . ولكن ثقله في الماء كاد يجر اليه كارولين ، فصاحت قائلة : ساعدونى ! فأسرع اليها أرنست وانطوان والبير ووصلوا بعد جهد الى انقاذ ذلك المسكين شارل ، الذى شرب من الماء اكثر مما يدعو اليه الظمأ ، وغطاه الماء من القدم الى الرأس . فلما نجا ضحكت الأطفال من هيأته التى تغيرت ، فغضب شارل ، وركب الأطفال حميرهم ونصحوه بأن يعود الى المنزل لتغيير ملابسه ، فركب حماره والماء يقطر منه ، وضحكت أنا على حدة ، من شكله المتغير ووجهه المكتئب . وكان تيار المياه قد جرده من قبعته وحذائه ، فكان والماء يقطر منه على الأرض ، وشعره نازل على وجهه وملتصق به ، ذو شكل يدعو الى الضحك وضحك الأطفال



ووصلوا بعد الجهد الى انقاذ المسكين شارل من الغرق

وجاراهم رفقائى الحمير فكانوا يشاركونهم فى الاستهزاء والسخرية من ذلك المنظر .

ويجب أن أزيد هنا ان حمار شارل الذي سقط فى الماء كان بغيضاً الينا نحن الحمير جميعاً ، لأنه كان مشاغباً ، وكان نهما وبليداً ، وهذه صفات كريهة ، نادرة جداً فى الحمير .

أخيراً اختفى شارل . وهدأ الأطفال والحمير . وكأنهم فهموا انى كنت أريد نجاتهم بابتعادى عن القنطرة . فأصبحوا يلاطفوننى ويستحسنون عملي ورأيي . وعدنا الى السير جميعاً ، وانا على رأس الجماعة . الى أن رجعنا وتفارقنا ، وذهب كل واحد الى منزله .



٥

المخبأ

لقد كنت سعيداً ، كما حدّثت فيما مضى ، ولكن لكل شيء نهاية ، فقد ذهبت سعادتي . كان والد جورج جندياً فعاد الى بلده يحمل من المال ما تركه رئيسه ، ويعتز بوسام أهداه اليه القائد . فاشترى منزلا في مدينة مامير . وأخذ معه ابنه الصغير وأمه العجوز ، ثم باعني الى جار له يملك مزرعة صغيرة ، فحزنت لانني اضطُررت الى ترك سيدتي العجوز وسيدي الصغير جورج ، وكان كلاهما رحيما بي ، وكنت أؤدي عندهم واجباتي أحسن الاداء .

ولم يكن سيدي الجديد لئيماً ولكنه كان ذا رغبة شديدة فى العمل الكبير الذي يشغل به كل من يكون عنده وكنت أيضاً كغيري ، ممن كلفهم كثرة العمل . فقادنى الى عربة صغيرة يحملنى عليها الاتربة والسباخ والبطاطس والاخشاب . فابتدأت فى التكاسل لأننى لم أكن أطيق أن أكون مربوطاً . وكنت أكره على الخصوص ايام السوق وذلك ليس لانه كان يحملنى فوق طاقتى ، ولا لأنه كان يضربنى ، بل لأننى كنت اضطر يوم السوق الى البقاء جائعاً من الصباح الى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر ، وكنت اذا جاء وقت الظهر اكاد أموت من العطش . وكان واجباً علي أن أنتظر حتى يتم

بيع كل الحمل وأن يقبض سيدي ثمن مايبيعه وأن يحيّي أصحابه ، وأن يأكل أكلة العصر .

ولذلك لم اكن لهم حينئذ طيباً. فانني أحب أن أعامل بالحسنى والا فانني أبحث عن وسيلة للانتقام. فانظر ماذا عزمت عليه في يوم من الايام، وسترى من ذلك أن الحمير ليست غبية ، وستعرف أنني صرت لئيما .

في يوم السوق يستيقظون مبكرين فيجمعون الخضار و يصنعون الزبدة و يلتقطون البيض ، وأنا فى الصيف أنام في حقل واسع ، فكنت ألاحظ هذه الاعمال وأنا أعرف انهم فى الساعة العاشرة قبل الظهر يبحثون عني ليربطوني الى العربة التي يملأونها بكل ما يريدون بيعه ، وسبق انني قلت ان يوم السوق يضايقني و يتعبني ، فرأيت أن أبحث عن مخبأ احتجب فيه وقت الطلب الى السوق ، فلاحظت أن فى وسط ذلك المرج حفرة كبيرة مملوءة من الطحلب والحشائش . وفكرت أنه يمكن أن أختبىء فيها ، فلا يروني وقت ذهابهم . ففي يوم السوق حين رأيت الذاهبين والآيبين من سكان المزرعة ، نزلت بخفة الى الحفرة وتوغلت فيها بحالة تجعل من المستحيل على الناظرين أن يروني ، ومكثت فيها نحو ساعة مغموراً بالقش والطحلب فى الوقت الذي كان فيه الخادم يبحث عني و يجري في كل ناحية حتى عاد الى المزرعة . و يظهر أنه أخبر بأنه لم يجدني ، لأنني رأيت صاحب المزرعة بنفسه يسأل امرأته وكل من حوله عني ، فقال أحدهم :

الظاهر أنه ذهب الى الزريبة

فأجاب آخر : من أي جهة تظن أنه ذهب ، وليس له طريق مفتوح في الغيطان ، أنه ليس بعيداً من هنا . فتّشوا عليه في كل مكان وعودوا حالا ، فان الوقت يمرّ بسرعة ، وسنتأخر عن الوصول الى السوق في الوقت المناسب .

وها هم أولاء كلهم قاموا الى الغيط وفي الغابة يجرون وينادونني ، وأنا في أثناء ذلك أضحك في سري واجتهد في أنني لا أظهر من مكاني .

وعاد المساكين يلهثون من شدة التعب ، وكانوا قد بحثوا عني في كل مكان مدة ساعة كاملة

فأكد صاحب المزرعة أنني قد سرقني لص ، وانني كنت بغير شك بهيما بليداً لانني تركت اللص يسرقني ، ثم ربط الى العربة فرساً من خيوله وذهب الى السوق وهو مغتاظ

ولما رأيت ان كل واحد قد ذهب الى عمله وانه لم يعد يراني أحد اذا خرجت من مكمني رفعت رأسي باحتراس ونظرت فيما حولي ، فلما تيقنت أنني وحدي ، ذهبت وجريت الى الطرف الآخر من المرج لكيلا يعرف أحد مكان اختفائي . وبدأت أنهق نهيقاً عالياً بكل قوتي .

وجرى على أثر هذه الضجة سكان المزرعة .

فصاح الراعي : ها هو قد رجع

فقالت سيدتي : من أين عاد الآن ؟

فقال العربجي : من الجهة التي كان غائباً فيها :

ولفرحي من تخلصي من السوق تقدمت اليهم ، فاستقبلوني استقبالا حسناً ولاطفوني ، وقالوا انني حمار طيب لانني تخلصت من أيدي اللصوص الذين كانوا ، في زعمهم ، سرقوني . و بالغوا في مدحي حتى أخجلوا تواضعي لانني في الحقيقة كنت استحق الضرب لا الملاطفة .

وتركوني أرعى في المرج بهدوء و راحة ، فأمضيت يوماً سعيداً لولا ما كان ينغصه عليّ من وخز الضمير بأنني أتعبت في ذلك اليوم سيدتي .

ولما عاد صاحب المزرعة وأخبروه بعودتي ارتاح واطمأن ، ولكنه كان في ريب مني . وفي اليوم التالى طاف حول المرج وتفقد بكل عناية الفتحات في جوانب الزريبة ، وحين انتهى قال ، ان هذا الحمار يكون نحيفاً جداً اذا استطاع أن يخرج من بين فتحات الحيطان فانني سددت كل فتحة بالحطب والقش حتى انه صار من المعتذر أن تمر من تلك الفتحات قطة .

ومضى الاسبوع ، وهم لا يفتكرون فيما كان من غيابي يوم السوق ، ولكنني في يوم السوق التالى عدت الى تمثيل ذلك الدور الماكر ، واختبأت في تلك الحفرة ، متعباً كثيراً وخائفاً جداً .

وبحثوا عني كما بحثوا في المرة الاولى ودهشوا ، وظنو ان لصاً ماهراً سرقني وجعلني اخترق سياج الزريبة .

وقال سيدي صاحب المزرعة بلهجة حزن وأسف : ان حمارنا اختفى هـذه المرة نهائياً ، ولا اظنه يستطيع النجاة مرة ثانية ، اذ لا يمكن ان يعودَ من فتحات السور لانني سددتها كلها سداً محكماً .

وذهب الى السوق في هذه المرة متنهداً ، وناب عني أيضاً في جر العربة واحد من خيوله .

وكما فعلت في المرة الاولى خرجت من الحفرة حين ذهب كل من كان قريباً مني ، ووجدت من حسن الرأي في هـذه المرة ان لا اعلن عن عودتي بالنهيق « هي هان ! » كما فعلت في المرة الاولى .

ولما رأوني آكل البرسيم بهدوء واطمئنان في المرج ، وحين علم سيدي أنني رجعت بعد ذهابه الى السوق بغير تأخير ، صرت اراهم يشكّون في أمري ، ولم أجدهم يلاطفونني كما فعلوا في المرة الاولى ، وكانوا ينظرون الى نظر الارتياب ، ولاحظت جيداً أنني اصبحت مراقباً بحالة لم تـكن من قبل ، فاستهزأت بهم وقلت في نفسي :

« ايها الاصحاب الاعزاء : لأنتم اشد مكراً مني اذا امكنكم ان تـكتشفوا محل اختفائي ، ولـكنني سأريكم أننى اشد مكراً وحيلة ، وسأعود الى الضحك عليكم ثانياً ، وأستمر عليه دائماً » .

واختبأت مرة ثالثة ، وانا مسرور كل السرور بمهارتي ، ولـكننى

لم اكد انزل في حفرتي حتى سمعت نباحاً شديداً من كلاب الحراسة ، وسمعت ايضاً صوت سيدي يقول :

« أوقعه وامسك به ، وانزل معه في الحفرة ، وعضه في قوائمه ، وجره يا كلبي العزيز ، أحسنت وبوركت ! »

وما لبث الكلب الخبيث حتى أطاع فيّ سيده ، فانه نزل اليّ في الحفرة ثم عض قوائمي وبطني ، وكاد يفترسني لو لم أطاوعه في الخروج من الحفرة ، ثم بادرت وجريت الى الزريبة أبحث فيها عن طريق افتحه لنفسي ، ولكن كان صاحب المزرعة يرصدني ، فضربني بالسوط واوقفني حالا ، وهو مسلح بسوط يروّعني به ، واستمرّ الكلب يعضني وسيدي يزجرني ، فندمت على ما كان من كسلي . ثم صرف سيدي كلبه وكف عن الضرب ، وربطني من رقبتي ، وجرني وانا في غاية الخوف والألم الى العربة التي كانت تنتظرني .

وعرفت من ذلك ان واحداً من اولاده كان مكلفاً بالانتظار في الطريق ، بقرب سور الزريبة ، لكي يفتح لي باباً فيها اذا رآني عائداً ، ولكنه لما أبصرني خارجاً من الحفرة عرّف أباه المستبد .

فحقدت عليه ما ظننته خبثاً منه ، ولكن الحوادث والتجارب ردتني الى الحلم وجعلتني أعدل في الحكم عليه .

ومن ذلك اليوم اصبحوا قساة عليّ ، وارادوا ان يحبسوني في الزريبة ، ولكنني وجدت لنفسي الطريق اذ كنت أقرض بأسناني

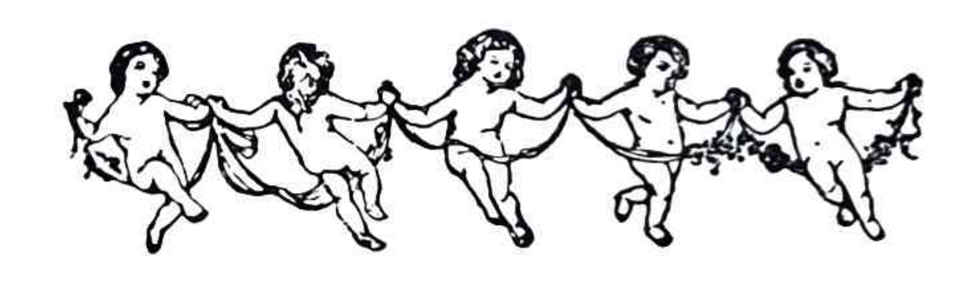
أطراف السياج ، ثم أدخل في كل مكان وأخرج من كل ناحية كما اشاء .

فأقسم صاحب المزرعة ان يزجرني و يضربني ، وصار حاقداً علي وصرت انا ايضاً اشد حقداً عليه ، وشعرت انني مهين من اجل تلك الخطيئة ، ثم قارنت هـذه الحياة التعسة بما كنت عليه من السعادة عنـد هؤلاء السادة ، ولـكني بدلا من ان اكون صالحا ، صرت اتمادى عنـدهم في العناد واللؤم . ففي ذات يوم دخلت الى بستان الخضار فأكلت كل ما كان فيه من شجيرات السلطة ، وفي يوم آخر القيت على الارض ذلك الولد الذى كان دل عليّ حين خرجت من الحفرة ، وفي مرة اخرى اكلت كل ما كان موضوعا في اناء القشدة وكانوا يريدون استخراج الزبدة منها ، وصرت ارفس الدجاج ، وادوس الارانب ، واعض الخنازير ، وانتهيت الى ان ربة الدار تضايقت مني كثيراً ولم تعـد تطيق النظر الي فطلبت من زوجها ان يبيعني في سوق « ماميز » وكان موعده بعد خمسة عشر يوما .

ولـكني كنت هزيلاً ضامراً ، لما نالني من كثرة الضرب ، وما عوقبت به من سوء الغذاء ، ولـكي يمكن ان يبيعوني بثمن طيّب ، وضعوني في مكان مناسب ، وزادوا لي الغـذاء الجيّد ، كما أوصى بذلك رجال المزارع المجاورة ، ومنعوا الأطفال ورجال المزرعة من معاملتي معاملة سيئـة ، وصاروا يقللون شغلي و يكثرون طعامي ،

فصرت سعيداً جداً في أثناء هذه الخمسة عشر يوماً ، ثم أخذني سيدي الى السوق و باعني بمائة فرنك .

فلما تركته ، هممت بأن انتقم منه بأن أعضه في يده ، ولكني خفت أن يسيء الظن بي الذين اشتروني ، واكتفيت بأنني أعرضت عنه وأدرت له ظهري بحركة احتقار وازدراء .



٦

المداليون



Médaillon

لما باعني سيدي في السوق كما ذكرت في الفصل الماضي ، اشترانى رجل وامرأة لهما بنت عمرها اثنا عشر عاماً ، وهي دائماً متألمة ومتضجرة . كانت تعيش وحدها في الخلاء لأنها لا تجد أحباباً في سنها . وأبوها لا يهتم بها كثيراً . وأمها التى تحبها لم تكن تحس بألمها من أنها لا تجد لها حبيباً من الناس ولا من الحيوان .

ونظراً لأن الطبيب كان وصف لها شيئاً من اللهو والرياضة ، فكرت في أن النزهة على ظهر حمار تكفى للهو والتسلية . وكان اسم سيدتى الصغيرة هذه « باولين » وهي دائماً كئيبة وغالباً مريضة مع أنها هادئة وطيبة وجميلة .

كانت تركب عليّ كل يوم فأمشي بها في الطرق المزهرة وحول الحدائق الصغيرة التى أعرفها . وفي أول الأمر كان خادم أو مربية ترافقها معي ، ولكنهم لما رأوا أننى طيب ، أحسن الصحبة وأجيد العناية بها تركوها لى وحدي ، وكانت تسمينى « كديشون » فبقى لي هذا الاسم .

وسمعت والدها يقول لها : اذهبي مع كديشون ، فالذهاب مع

حمار كهذا لا خطر فيه ، فان له من العقل ما يشبه عقل الانسان ، وانه دائمًا يعرف كيف يعود بك الى المنزل .

ولذلك كنا نخرج دائمًا معًا ، انا وهى ، فاذا لاحظت انها تعبت من المشي كنت أقف بجانب رصيف مرتفع ؛ أو أنزل في حفرة صغيرة ، لكي تستطيع بسهولة أن تصعد على ظهري . ووصلت بها مرة الى شجرة بندق مثمرة ، وتأخرت انا لكى أترك لها الفرصة لتجمع منها ما تشتهى ، وكانت هي تحبنى كثيراً وتعتنى بى وتلاطفنى .

واذا كان الجو رديئًا لا يحسن فيه الخروج ، فانها تجيء عندي في الاصطبل ، وتقدم الي خبزاً وعُشبًا أخضر وأوراق خضار وكرنبًا ، ثم تبقى معي وتخاطبنى ، وهي تظن أننى لا أفهم كلامها ، وتحدثنى بما تشكو منه ، ثم تبكى أحيانًا وتقول :

« آه يا كديشون الصغير المسكين ، انك حمار ، ولا تستطيع ان تفهم كلامى ، وأنت مع ذلك حبيبى الوحيد ، لأننى استطيع ان أقول لك وحدك كل ما أفكر فيه . ان أمي تحبنى ، ولكنها تغار لأنها تريد أن لا احب غيرها . وانا لا أعرف أحداً من سنّي ولذلك أتضجر كثيراً »

ثم تبكي باولين وتلاطفنى ، وكنت أنا أيضًا أحبها وأرثى لها . واذا كانت قريبة منى فاننى اجتهد ان لا اتحرك ، خيفة ان اخدشها برجلي .

وذات يوم رأيتها تجري نحوى وهي فرحة مسرورة تقول :
« كديشون ! انظر : أمي اعطتني « مداليون » من شعرها ، وانا اريد أن أضم اليـه شيئاً من شعرك لأنك انت ايضاً حبيبي ، فأنا احبك ، وسأجمع شعر كل من يحبونني كثيراً في هذه الدنيا .

ثم قصت من ناصيتي خصلة من الشعر وفتحت « المداليون » وضمتها الى شعر امها .

فكنت سعيداً برؤية مقدار حبّ باولين اياي ، وكنت فخوراً بأن أرى شعري محفوظاً في « مداليون » ، ولكن يجب ان اعترف بالحق فأقول أنه لم يكن يحدث تأثيراً حسناً ، اذ كان يظهر ومادياً غليظاً خشناً ، بجانب شعر أمها الناعم اللامع ، ولم تلتفت الى ذلك باولين ، فكانت تقلب « المداليون » وتستحسن ما فيه : في اللحظة التى دخلت عليها والدتها وقالت لها :

ماذا تنظرين هنا ؟

فقالت وهي تخبىء ما في يدها قليلا ، هذا هو « المداليون » .

الأم - لماذا احضرتيه هنا في الاصطبل ؟

باولين - لأجل أن يراه كديشون .

الأم - ما هذه الحماقة يا باولين ، كأن عقلك ذهب مع حمارك كديشون ، او كأنه يفهم معنى وجود الشعر في المداليون ؟

باولين - أؤكد لك يا والدتي أنه يفهم ذلك ، لأنه لحس يدي

حين . . حين . . وخجلت باولين أن تكمّل ، فسكتت .

الأم – حين ماذا ؟ ولمَ لمْ تكملي كلامك ، ولماذا كان كديشون يلحس يدك ؟

باولين – وهي متضايقة – أفضّل يا ماما ان لا أقول لك ، فانني أخشى أن تعنفيني .

الأم – وهي متأثرة – قولي ، لأرى أي حماقة أخرى جئت بها ؟

باولين – ليست حماقة ، يا ماما .

الأم – اذن فلماذا تخافين ؟ أنا أظن انك اعطيت كديشون مقداراً من الشعير يجعله مريضاً ؟

باولين – لا ، انا لم أعطه شيئاً .

الأم – اسمعي يا باولين ، لقد نفد صبري ، وأحب ان تقولي لي ماذا فعلت ، ولماذا أنت تركتني منذ نحو ساعة وجئت الى هنا ؟

وفي الواقع فانها صرفت زمناً طويلاً في تسوية ما قصته من شعري ، واقتضى ذلك أن تنزع الورقة المصمغة وراء المداليون وتخلع الزجاجة وتضع الشعر ثم تعيد لصقها .

وتوقفت باولين ثانياً لحظة . وقالت بصوت خافت وهي مترددة:

انا قطعت خصلة من شعر كديشون لأجل . . .

الأم – وهي نافدة الصبر . لأجل . . . أتمي كلامك ، لأجل ماذا ؟

باولين – بصوت خافت جداً ، لأجل وضعها في المداليون .

الأم – بغضب شديد ، فى أي مداليون ؟

باولين – فى المداليون الذي أعطيتنى اياه .

الأم – وهى غاضبة ، وماذا صنعت بشعري ؟

باولين – هو فى المداليون ايضاً ،وها هو . ثم قدمت المداليون .

الأم – شعري تخلطينه بشعر الحمار ؟ ! آه ، هذا شديد جداً لا احتمله.
أنت لا تستحقين الهدية التى أهديتها اليك ، أتجعليننى فى منزلة واحدة مع الحمار ، وتعطين الحمار نفس الانعطاف الذي لي عندك ؟
ثم انتزعت المداليون من يد الطفلة المسكينة ورفعته بيدها فوق



الطفلة وأمها تنتزع منها المداليون وتلقيه على الارض
والحمار يطل على ذلك المنظر باكياً

رأسها وألقته على الأرض ، وباولين مبهوتة ، ثم وقفت فوقه وكسرته كسراً صغيرة ، وبدون أن تنظر الى بنتها خرجت من الاصطبل وأغلقت الباب بحدة وعنف .

وخافت باولين من هذا الغضب القاسي ، ومكثت برهة لاتتحرك وأجهشت بالبكاء ، وألقت نفسها على عنقي وقالت لي : —
كديشون ،كديشون ، انت ترى كيف يعاملونني ! هم لا يريدون أن أحبك ، ولكنني أحبك على رغمهم ، وأكثر منهم ، لأنك أنت طيب ، وأنت لم تعنفني أبداً ، ولم تسبب لي شيئاً من الكدر ، وأنت تسعى في رضاي كلما خرجت للتنزه ، وآاسفاه يا كديشون ، وما أشد حزني لانك لا تستطيع أن تفهم كلامي ولا أن تخاطبني ، كم عندي من الكلام الذي أريد أن أقوله لك .

ثم سكتت ، وألقت نفسها على الارض واستمرت تبكي وتنتحب ، فتأثرتُ وحزنت لبكائها . ولكنني لم أستطع أن أعزيها ولا أعرفها أنني فاهم ما تقول .

ووجدت في نفسي غضباً شديداً على هذه الأم التي سببت هذا الحزن لبنتها بحماقة أو بفرط الشفقة ، ولو استطعت لافهمتها مقدار الشجن والاسى الذي جلبته على باولين ، والضرر الذي أحدثته في صحتها الضعيفة ، وفي هذا المزاج الرقيق ، ولكنني لا أقدر على الكلام ، ولذلك كنت أنظر بعطف شديد الى الدموع التي تذرفها هذه الطفلة .

مضى على ذهاب والدتها ربع ساعة،ثم دخلت مربية باولين وناد تها:
ان أمك تدعوك وهي لا تريد أن تبقى هنا في اصطبل كديشون ،
بل هي تريد أن لا تدخليه أبداً .

فصاحت قائلة: كديشون ،عزيزي كديشون،هم لا يريدون أن أراك .

فأجابتها : هكذا قالت أمك ، وأزيدك انها تقول ، انك بعد
انتهاء الفسحة فان مكانك يكون في الصالون وليس في الاصطبل .

فلم تعارض باولين ، لانها تعلم ان أمها تريد أن تكون مطاعة
الامر . ثم عانقتني للمرة الاخيرة ، وكنت أحس دموعها تجري على
عنقي ، ومضت ولم تعد الى الاصطبل بعد هذه المرة .

ومنذ ذلك الوقت صارت الطفلة أكثر حزناً وأشد تألماً ، وكنت
أرى لونها يصفر و يتغير ، وجسمها يتحف و يهزل ، ونضارتها تذبل .

وجاء فصل الشتاء ، فكانت مدة رياضتها قليلة ونادرة .

واذا قرّبوني من رصيف القصر ، تركب على ظهري دون أن
تكلمني ، ولكن اذا صرنا بعيداً عن الأنظار فانها تنزل عنى
وتداعبنى ، وتقص عليّ كل ما كان يشغلها فى تلك الأيام ، وهى
تحسب أنني أستطيع ان أفهم كلامها

وهكذا فهمت أن أمها كانت دائماً متغيرة عليها وناقمة منها حادثة
المداليون ، وان باولين من جرّاء ذلك كانت تزداد حزناً عما كانت
عليه ، وان مرضها الذي كانت تشكو منه صار أشد خطراً عليها

٧

الحريقـــة

لم أكد أبدأ في النوم ذات ليلة حتى أيقظني صراخ وأصوات تنادي: الحريق، الحريق! فدعاني الخوف والاضطراب الى التماس من الرسن الذي كنت مربوطاً به، ولكني حاولت عبثاً، وكانت تدور بي الأرض، لأن ذلك الرسن كان متيناً لا يقطع، وأخيراً اهتديت الى فكرة حسنة هي أن أقرضه بأسناني فظفرت بذلك بعد مجهود غير قليل.

وكان لهيب نار الحريق يضيء ما حولي في الاصطبل، وازداد الصراخ وعلا الضجيج، ثم سمعت أصوات الخدم وسقوط الحيطان وطقطقة الأخشاب. وملأ الدخان الاصطبل ولم يفكر فيّ أحد، ولم يخطر في بال أحد شيء عني، ولا فكرة يسيرة بفتح باب الاصطبل لأخرج منه.

وازداد اللهيب شدة وأحسست بحرارة لاذعة.

فقلت في نفسي، لقد قضي الأمر، وجرى القضاء بأن أموت محترقاً، هذا الموت الفظيع، وتذكرت عزيزتي باولين وقلت، ياسيدتي العزيزة لقد نسيت خادمك المسكين كديشون.

ولم تكد تخطر في بالي هذه الكلمة دون أن أنطق بها حتى فتح الباب عليّ بقوة وسمعت صوت باولين وهي تقول: « يسرني

أنك نجوت » فتقدمت نحوها واجـتزنا الباب ، أنا وهى ، في لحظة اضطرنا فيهاصوت فرقعةالسقوف الى التقهقر ، وكانت الانقاض تملأ كل الممر ، وكادت سيدتى الصغيرة تعرض نفسها للخطر بسبب انقاذي . وأوشكنا أن نختنق من شدة الدخان وتراكم الغبار وهول الحرارة .

وسـقطت باولين على الارض بجانبي . فابتدرت حركة خطرة ولـكن فيها وحـدها النجاة لنا ، فقبضت بأسنانى على ثوب سيدتى الصـغيرة التي كانت كالمغمي عليها واقتحمت الممر الذي كان ممتلئاً بالانقاض الملتهبـة التى تغطي الارض ، وكان من حسن حظي انى استطعت أن أجتاز الممر دون أن تعلق النار بثيابها . ثم توقفت لأنظر من أي جهة أستطيع أن أسير ، وكل ما كان حولنا كان يحترق . ومع أنني كنت يائساً متضعضعاً من الخوف والاضـطراب فانني وضعت باولين التي كانت غائبة عن صوابها الى الارض ، وذلك حين لمحت كهفاً مفتوحاً فتقدمت اليه مطمئناً الى أننا صرنا في مأمن .

فألقيت باولين بجانب وعاء مملوء بالماء لـكى تستطيع أن تبل وجهها حين عودتها الى صوابها ، ومن حسن الحظ انها أفاقت بسرعة .

فلما وجدت نفسها قد نجت ، وأنها صارت فى مأمن من كل خطر ، جثت على ركبتيها ، وصارت تصلي بخشوع تام شكراً لله على النجاة من ذلك الخطر الهائل ، ثم التفتت اليّ برقة واعتراف بالجميل أثرا في نفسى كل التأثير .

وشربت قليلاً من الماء وأنصتت . وكانت النار لا تزال متقدة وكنا نسمع صراخاً وأصواتاً مبهمة دون أن نستطيع تمييز الاصوات .

فقالت باولين : مسكين أبي ، ومسكينة أمى ، فانهما سيعتقدان انني هلكت فى سبيل تخليص كديشون ، مخالفة أمرهما فى التوجه اليه ، والبحث عنه . فالآن يجب انتظار انطفاء النار . ثم قضينا الليل كله فى الكهف . وقالت باولين ، انك طيب يا كديشون ، فانني بك وحدك صرت عائشة ، ولم تزد على هذا القول . وكانت جالسة على صندوق متكسر ، ورأيت أنها نامت ، وكان رأسها مستنداً على برميل فارغ ، وأحسست أنا بالتعب وكنت عطشان فشربت الماء الذي كان في ذلك الوعاء ، وتمددت بجانب البـاب ولم يطل عليَّ الوقت حتى أخذني النوم ايضاً .

واستيقظت ساعة الفجر ، وكانت باولين لا تزال نائمة ، فأيقظتها بتلطف ، وذهبت الى الباب وفتحته ، ونظرت فرأيت كل شيء محترقاً ، ورأيت كل شيء منطفئاً . وصار من الممكن اجتياز الطريق والوصول الى خارج المنزل . ولأجل ايقاظ سيدتى العزيزة همهمت « هي اهان ! » ففتحت عينيها ورأتني بجانب الباب ، فجرت ونظرت فيما حولها ثم قالت بحزن : كل شيء قد احترق ، وكل شيء قد ضاع ، ولست أعود أرى المنزل فأنني سأموت قبل اعادة بنائه ، وهذا ما اشعر به ، فانني ضعيفة ومريضة مرضاً شديداً ، كما تقول أمي عني .

ثم بعد ان استغرقت في التفكير مدة وهي لا تتحرك ، نادتني قائلة : تعال يا كديشون ، ولتخرج الآن ، ومن الواجب أن أرى أبي وأمي لأجل أن يطمئنا عليّ فأنهما لابُدّ يظنان أنني قد مت .

ومرت بخفة على الحجارة الساقطة والحوائط المتكسرة والكتل التي لا تزال مدخنة ، وتبعتها ، فوصلنا الى خضرة الحديقة ، وهناك صعدت على ظهري واتجهت الى القرية ، ولم يطل علينا الوقت حتى أدركنا المنزل الذي هاجر اليه أهل باولين وهم يظنون أنها احترقت فكانوا لذلك في حزن شديد .

فلما ابصروها صاحوا صيحة السرور وأقبلوا عليها فرحين فقصّت عليهم كيف أنني بأي ذكاء وبأي شجاعة عملت على انقاذها .

وبدلاً من أن يتقدموا إليّ بشكر ، فأن أمها نظرت إليّ نظراً شزراً ، أما أبوها فلم ينظر اليّ أدنى نظر .

وقالت لها أمها : من أجل هذا الحمار كاد يدركك الخطر ياعزيزتى ، فلو لم تأخذك حماقة الرغبة فى فتح باب الاصطبل لتخليصه لكان توفر علينا الهم الطويل والحزن الشديد فى الليلة التى قاسيناها بحزن أنا وأبوك .

ولكن باولين أسرعت فأجابت : ولكن هو الذي ... فبادرتها أمها وقالت اسكتى . اسكتي . ولا تحدثيني عن هذا الحيوان الذي ابغضه كثيراً لأنه كاد يسبب لك الموت .

فتنهدت باولين ، ونظرت إليّ وهي متألمة وسكتت .

ومنذ ذلك اليوم لم أعـد أراها ، فالاضطراب الذي سببته الحريقة ، والتعب الذي أصابها فى ليلة لم تذق فيها طعم الراحة والنوم ، وخصوصاً ما أصابها من رطوبة الـكهف ، كل ذلك ضاعف أسباب الألم الذي كانت تشكو منه من زمن ، واستولت عليها الحمى منذ الصباح ولم تفارقها . ووضعوها على سرير لم تنزل عنه ، وأكمل برد الليلة المـاضية الألم والضجر اللذين استوليا عليها ، وكانت مريضة بذات الصدر فاشتد عليها المرض ولم تلبث شهراً حتى ماتت ، غير آسفة على الحياة ولا خائفة من الموت . وكانت تتحدث عني كثيراً وتناديني وهي في بحران الحمى .

ولم يعد أحد يسأل عني ولا يعتني بي ، فكنت آكل ما أجد لا ما أشتهي ، وأنام فى العراء مع شدة البرد والمطر .

ولما رأيت نعش سيدتي العزيزة وهم يخرجون به من المنزل تملكني الاسى والحزن فتركت البلد ولم أعد اليها من ذلك الوقت .



٨

سباق الحمير

كنت أعيش عيش البؤس بسبب رداءة الجو ، واخترت لي مأوى في الغابة ، التي وجدت فيها ما يمسك الرمق ، ويحول بيني وبين الموت جوعاً وظمأ .

ولما جمدت الأنهار من البرد ، كنت أتغذى بأكل الثلج وقرض الحشائش وأنام تحت أشجار الصنوبر . وكنت أقارن هذا العيش الضنك بالنعيم الذي كنت ألقاه عند سيدي جورج ، بل بالحالة التي كنت عليها عند صاحب المزرعة الذي باعني ، فلقد كنت عنده سعيداً كلما نبذت الكسل وتباعدت عن اللؤم وعيب الانتقام . ولكن ليس لي وسيلة للتخلص من هذا البؤس لأنني أحب أن أبقى حراً متصرفاً وحدي في أعمالي .

وكنت أحياناً أقترب من بعض القرى المجاورة للغابة لأطلع على ما يجري في هذا العالم .

وجاء الربيع وهو خير الفصول ؛ فدهشت لأنني رأيت حركة غير عادية ، وكان يلوح على القرية مظهر العيد ، والناس يمشون جماعات ، وكان كل واحد يلبس ملابس الأعياد والآحاد ، والذي زاد دهشتي انني رأيت جميع حمير البلد مجتمعة .

وكان لكل حمار قائد يمسكه بلجام ، والحمير كلها نظيفة ممشطة وبعضها كان يزدان رأسه وعنقه بالورد والأزهار ، ولم يكن واحد منها يحمل فوق ظهره بردعة .

فقلت هذا غريب ، فليس اليوم يوم سوق ، وماذا تصنع هنا جميع هـذه الحمير المنظفة المزيَّنة ، التى يظهر عليها أنها قد غذيت أحسن غذاء في هـذا الشتاء . ولما فرغت من هذه الكلمة ، نظرت الى ظهري وبطني وأفخـاذي ، وكلها نحيف ، والشعر غير ممشط ، والوبر متكسر ،

ولـكنني كنت أشعر فى نفسي بالقوة والحزم .

فاقتربت لأرى ما شأن هـذه الحمير المجتمعة ، فرأيت الغلام الذي يمسكها ، وقد تبسم حين لمحني . ثم قال :

انظروا يا اخواني الحمار الذي قدم الينا : هل هو ممشط ؟ فقال آخر ، وهل هو معتنى به ؟ وهل هو جيد الغذاء ؟ وكيف مع ذلك يحضر السباق ؟

وقال ثالث متهكماً : ومن يدري ؟ فلندعه يجري ويسابق ، فليس علينا خطر إذا فاز بالجائزة . .

فضحك الجميع من هذا القول ، وساءني استهزاؤهم بى وفهمت أنهم على عزم مسابقة بين الحمير ، ولـكن كيف تحصل ، وأين تكون ؟

هذا الذي كنت أطمع في معرفته ، فاستمريت مصغياً لكلامهم وتظاهرت بأنني لم أفهم شيئاً مما قالوا .

وسأل واحد منهم : هل جاء وقت السباق ؟

فقال الآخر : لا أدري ، ولكنهم ينتظرون العمدة .

وجاءت امرأة فقالت : أين يكون مجرى الحمير ؟

فأجابها جانون : محل السباق فى مرج الطاحون الواسع أيتها الأم ترانشيه .

فسألته : كم عددكم من الحمير هنا ؟

فأجاب ، نحن ١٦ وانت غير داخلة فى هذا العدد

وتجدد الضحك منهم لهذه السخرية فى الاجابة .

فقالت ضاحكة : انك خبيث ، وماذا يستفيد الذي يجيء فى السبق أولاً ؟

فأجاب : لذة الظفر ، ثم جائزة ساعة من الفضة ، فقالت:

لقد كان يسرنى كثيراً أن يكون لى حمار فأطمع فى الحصول على الجائزة ، ولكني لا أملك من الدنيا ما اقتني به حماراً .

فضحك جانون وقال : كأنك تحسبين أن مجرد وجود حمارلك يكفي للظفر والفوز بالجائزة . وتضاحك رفاقه جميعاً .

فقالت هى : كيف تظن أن يكون لى حمار ؛وهل أنا أستطيع أن أطعمه وأن أدفع ثمنه ؟

أما أنا فلما رأيتهم يتكلمون هكذا عن الحمير، وسمعت كلام الأم ترانشيه ، وتمنيها أن يكون لها حمار لتفوز بالجائزة ، ملت اليها وأعجبني منها أن عليها سيما اللطافة وحسن الخلق ، فخطر فى بالى أن أعمل لكي تفوز هى بالساعة الفضية .

وكنت قد تعودت الجري السريع في الغابة ، وقطعت في السير أشواطاً بعيدة ، لكي استدفيء بالجري من شدة البرد ، ولذلك استطعت أن اكون قادراً على الجري ، وعلى الاستمرار فيه والصبر عليه ، كالحصان .

وقلت في نفسي : سنرى ولنجرب ، وانني اذا لم أظفر بالجائزة فلا أخسر شيئاً ، واذا ربحت فقد ساعدت الأم ترانشيه على الحصول على الساعة التى أظهرت رغبة في الفوز بها .

ولذلك تقدمت بخطوات معتدلة ، ووقفت بجانب الحمار الأخير ، وزهوت وانتفخت كبراً ، ونهقت بحدة .

فاحتد أندريه ، وقال مغتاظاً : الا تريد أن تنتهي من هذا النغم الذي لا يطرب ، أيها الحمار القذر ؟ انك لست نظيف الشعر ، ولا تستطيع الجري ، وانك لا صاحب لك .

فكدت اختنق من الغيظ ، ولكني لم اتحرك ، ولم اغادر مكانى ، وصار بعضهم يضحك ، وبعضهم يغضب ، ثم تشاجروا حين صاحت الأم ترانشيه :

اذا لم يكن لهذا الحمار صاحب ، فأنه سيكون له صاحبة ، وانا قد عرفته الآن ، فهو كديشون ، حمار المسكينة مدموازيل باولين فانهم طردوه منذ غابت عن المنزل ، ولم يكن له فيه من يرحمه ، وأنا أظن أنه قضى طول هذا الشتاء في الغابة ، لأنه لم يره أحد منذ وفاة تلك الطفلة .

ولذلك انا آخذه منذ اليوم في خدمتى ، وهو سيجري اليوم فى السباق لأجلي .

ولما سمعوا هذا القول صاحوا من كل جانب : اذا كان هذا كديشون فاننا قد سمعنا كثيراً عن شهرته وفراهته .

وقال جانون :

اذا شئت أيتها الأم أن يجري فى السباق لأجلك ، فلا بد أن تشتركى فى المسابقة بأن تضعي فى كيس عند العمدة ، قطعة فضية من النقود قيمتها نصف فرنك .

فأجابت الأم ترانشيه :

بكل ارتياح يا أولادى ، ها هي قطعتي . وحلت عقدة فى طرف منديلها ، ثم قالت : ولكن هل يطلب مني غيرها ؟ لأنه ليس معي كثير من نوعها ،

فقال جانو :

أنت اذا ربحت الجائزة فلن يضيع عليك ما دفعته ، لأن كل

سكان القرية اشتركوا فى السباق ، ووضعوا فى هذا الكيس اكثر من مائة فرنك .

واقتربت أنا من الأم ترانشيه ، ثم درت دورة ، وقفزت قفزة ، ورفست برجلي فى الهواء رفسة قوية ، أثرت في الأطفال وجعلتهم يظنون ، ويخشون ، أنني سأكون السابق .

فقال جانون لأندريه بصوت خافت :

انك أخطأت اذ جعلت الأم ترانشيه تضع قطعتها فى الكيس ، فذلك أعطاها حقاً فى دخول كديشون فى المسابقة ، وأنا أكاد أراه فائزاً بالجائزة ، وأتوهمه قد حرمنا جميعاً الفوز بالساعة وكيس النقود .

فأجاب جانو :

انك أبله ، كأنك لا ترى وجهه ، انا أظن هذا المسكين كديشون سيكون سبباً لضحكنا ، لأنه لا يستطيع أن يذهب بعيداً .

فقال أندريه : انا لا أدرى ، ولكن أفضل أن أقدم له شيئاً من الشعير لكي يأكله ويذهب فنستريح منه .

فأجاب جانو :

والنصف فرنك الذى دفعته الأم ترانشيه ؟

فقال أندريه : اذا ذهب الحمار نرد لها ما دفعته .

وقال جانو : ومع ذلك فأن الحمار ليس ملكاً لها ، ولا لي

ولا لك . فاذهب فأعطه وجبة من الشعير ، ودعه يذهب ، وحاذر أن تراك الأم ترانشيه .

وسمعت أنا كل ما تحاوروا به وتحققته حين أبصرت أندريه قادماً اليّ ، ومعه الشعير يحمله في « مريلته » ، فبدلاً من أن أقترب منه لتناول ما معه ، اقتربت من الأم ترانشيه ، التي كانت تتحدث مع بعض معارفها ، فتبعني أندريه ، وأخذ جانو برأسي وشدني من أذنيّ ولوى رأسي نحو الشعير ، وهو يظن أنني لم أره ، ولكني وقفت ثانياً ولم أتحرك ، مع شدة رغبتي فى الطعام ، وبدأ جانو يسحبني ، وأندريه يدفعني ، فأخذت أنهق بكل صوتي الجميل .

فالتفتت الأم ترانشيه ، وأدركت فعلة جانو واندريه ، فقالت لهما : ليس جميلاً ما تصنعانه هنا يا ولديّ . وما دمتما قد كلفتماني أن أدفع نصف الفرنك ، فهل يجوز أن تبعدا كديشون عن المسابقة ، وهل أنتما تخافان من نجاحه ؟

فقال أندريه : أنخاف من مثل هذا الحمار ؟ كلا ، نحن لانخافه :

فأجابت : اذن فلماذا تسحبانه لتبعداه

فقال أندريه : ذلك لأجل اعطائه وجبة من الطعام .

فأجابت بتهكم ،

لا بأس اذن ، وهذا حسن ، فضع له الشعير على الأرض ليأكل على رغبته ، وأنا كنت مخطئة حين ظننت انكما تؤذيانه .

فخجل الطفلان ، وكانا غاضبين ، ولكنهما لم يستطيعا اظهار الغضب ، وضحك رفقاؤهم لأن حيلتهم انكشفت ، وكانت الأم ترانشيه تفرك يديها ، أما أنا فكنت مسروراً ، وأكلت الشعير بقشره وشعرت بأنني زدت قوة بعد أكله ، وكنت راضياً عن الأم ترانشيه .
ولما فرغت من الطعام ، صرت قليل الصبر على ابتداء المسابقة ، متشوقاً لتعجيلها .

وأخيراً حدثت ضجة ، وجاء العمدة ، فأمر بترتيب الحمير وصفها صفاً واحداً ، فوضعت نفسي فى الآخر تواضعاً ،

ولما ظهرت وحدي ، قال بعض الناس ،لمن هذا الحمار ؟ ومن صاحبه ؟

فأجاب اندريه : ليس هو لأحد

فصاحت الأم ترانشيه : بل هو لي .

فقال العمدة : يجب أن تدفعي رسم المسابقة فى الكيس

فأجابت : لقد دفعت ياسيدي العمدة .

فقال العمدة : حسناً ، والتفت الى الكاتب ليسجل اسمها .

فأجاب الكاتب : لقد تم ذلك من قبل ياسيدي العمدة

فقال العمدة : هل أنتم مستعدون ؟ ثم صاح : واحد ، اثنان ، ثلاثة ؛ إنطلقوا !

فأرخى كل الغلمان لجم الحمير ،وضرب كل واحد حماره سوطاً

شديداً ، فجرت الحمير كلها . وكان هذا اذنًا منه بالسباق .

ومع أنه لم يقدني أحد للجري ، فأنني انتظرت دوري للبدء في المسير بشرف ، واقتضى ذلك أن كل الحمير تقدمتني قليلا فى ابتداء السير ، ولكنها لم تكد تبلغ نحو مائة خطوة حتى أدركتها . وها أنا سبقت وأصبحت فى مقدمة هذا القطيع .

فصاح الغلمان ، وأعملوا سياطهم في ظهور الحمير ، يستحثونها على الجري السريع لأجل اللحاق بي وسبقي . وكنت في أثناء ذلك أدير رأسي نحوهم ، لأرى امتعاض وجوههم من التأخر ، ولكي أتلذذ بسبقي لهم وأضحك من جهودهم الضائعة في ادراكي . ولكنهم تحمسوا كثيراً ، اذ رأوني بعيداً عنهم ، وأنا أضعفهم جسما ، وهم أحسن مني منظراً ، فضاعفوا جهدهم لادراكى وسبقي . وسمعت ورائي صيحات وحشية مزعجة ، وقرب مني حمار جانو ، وكان يمكنني أن أستعمل لأجل السبق ما استعملوه من الطرق ولكني احتقرت تلك المناورات السخيفة ، ورأيت أنه يلزمني أن لا أهمل شيئاً ، لكي لا أكون مقهوراً ، فسبقت منافسي بمسافة بعيدة ، وفي تلك اللحظة التى أسرعت في سبقه فيها قبض بأسنانه على ذيلي ، وعضني . واضطرني الالم الى السقوط على الارض ، ولكن شرف الفوز بالسبق شجعني على التخلص من أسنانه ، ولو أنني تركت فيها قطعة من لحمي وشعري . والرغبة في الانتقام منه أعارتني خفة الأجنحة ،



كديشون في سباق الحمير وهو سابق والناس يتفرجون
(وفي اللحظة التي سبقته فيها قبض على ذيلي بأسنانه وعضني)

فجريت بسرعة فائقة ، فوصلت الى نهاية خط المسابقة ، ولم أكن الأول فقط بل تركت ورائي بمسافة طويلة جميع من ينافسني في السباق .

فكنت مجهوداً متعباً ، ألهث من شدة التعب ، ولكنني كنت سعيداً بالفوز ، وكنت أسمع بلذة وابتهاج تصفيق ألوف من المشاهدين ، الذين كانوا يحيطون بالمرج الذي جرت فيه المسابقة .

فوقفت وقفة الظافر ، واتجهت بأبهة نحو مكتب العمدة ، الذي استعد لأعطاء الجائزة . فتقدمت نحوي الام الطيبة ترانشيه ، ولاطفتني ، ووعدتني بكمية من الشعير ، وبسطت يدها لاستلام الساعة وكيس النقود ، حين همّ العمدة باعطائهما اليها ، وفي هذه اللحظة رأينا أندريه وجانو يجريان ويصيحان وهما مقبلان على العمدة :

تمهل ياسيدي العمدة ، تمهل فليس هذا عدل . لان هذا الحمار لايعرفه أحد ، وهو لا يخص الأم ترانشيه ، الا ادعاء لأول نظرة ، فهذا الحمار لايعد في المسابقة ، والذي جاء أولا في السباق هو حماري ، مع حمار جانو ، فالساعة والكيس يجب أن يكونا لنا .

فسأل العمدة :

أليست الأم ترانشيه قد وضعت في الكيس قطعة من النقود ؟

— نعم يا سيدي العمدة ، ولكن . . .

— هل عارض أحد حين وضعت القطعة في الكيس ؟

— لا يا سيدي العمدة ، ولكن . . .

— هل في وقت السير في المسابقة حصلت منكما معارضة ؟

— لا يا حضرة العمدة ، ولكن . . .

— اذن فحمار الأم ترانشيه قد فاز بحق بجائزة الساعة والكيس .

فصاحوا معترضين :

— يا حضرة العمدة اجمع أعضاء المجلس المحلي للفصل في الموضوع ، فأنه ليس لك وحدك حق الاستئثار بالفصل فيه .

وتردد العمدة ، فلما رأيته متوقفاً ، قبضتُ بحركة عنيفة بأسناني على الساعة والكيس ، ووضعتهما بلطف بين يدي الأم ترانشيه التي كانت منتظرة رأي العمدة ، وهي مضطربة قلقة جازعة .

ولكن هذه الحركة جذبت الجمهور نحوي ، وسمعت على أثرها ضجة التصفيق والاستحسان .

فقال العمدة وهو ضاحك :

- انتهى الفصل فى الموضوع بواسطة الفائز نفسه لجانب الأم ترانشيه . ثم التفت الى أعضاء المجلس ، فقال : هلموا نبحث حول



الام ترانشيه وهى تستلم الجائزة . بحضور العمدة
(فقبضت على الساعة والكيس بأسنانى ووضعتهما بين يدي الام ترانشيه)

المائدة ، هل كان من حقي أن أنصف هذا الحمار أم لا ؟ ثم أضاف باستهزاء ، قوله : وهو ينظر الى أندريه وجانو :

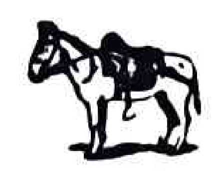
– انا أظن أن أغبى الحمير بيننا ليس هو حمار الأم ترانشيه .

فصاح الناس من كل جانب : أحسنت يا حضرة العمدة .

واستمر الناس يضحكون ، ما عدا اندريه وجانو . فانهما ذهبا وهما يهددان بقبضة يديهما ، وينظران اليّ شزراً .

أما انا فهل كنت مسروراً ؟ كلا ! فقد جرح العمدة كبرياء نفسي حين كان فى نظرى بعيداً عن الأدب اذ وصف نوع الحمير بالغباوة فى تهكمه على أندريه وجانو ، فكان ذلك منه جحوداً وظلماً .

ولقد كنت فى هذه المسابقة شجاعاً صبوراً ذكيًا ، فانظروا كيف كانت مكافأتى ؟ حتى إن الأم ترانشيه شغلها الفرح بالحصول على الساعة والكيس ، فنسيت من أحسن اليها ، وأوصل اليها هذه الجائزة ولم تحقق لى وعدها باعطائى مقداراً من الشعير كنت أرجوه بعد وعدها ، ثم تركتني وانصرفت الى محادثة الجمهور بدون مكافأتى على الربح الذى فازت به على يديّ و بفرط جهدى .



٩

الاصحاب الصالحون

وقضى الله بعد كل ذلك أن أبقى وحدى في المرج ، فكنت محزونًا ، وكان ذيلي المجروح من عضة حمار المسابقة يؤلمني .

ثم شعرت فجأة بيد ناعمة تلاطفني ، وسمعت صوتًا جميلاً يخاطبني ويقول :

مسكين يا هذا الحمار ، أنهم عاملوك بقسوة ، تعال عند جدتى فانها تطعمك وتعتني بك أحسن من أولئك الأصحاب القساة ، مسكين أنت ! ما أشد نحافتك ؟

فالتفت فرأيت طفلا جميلاً عمره خمس سنوات ورأيت أخته التي تزيد عنه ثلاث سنين وهما يسيران مع مربيتهما

فقالت روز تخاطب أخاها جاك :

ماذا قلت لهذا الحمار المسكين ؟

فأجاب : قلت له يحضر ليقيم عند جدتنا ، لأنه يعيش هنا وحده ، وهو بائس .

فقالت أخته : نعم نأخذه ، انتظر ، أنا أريد أن أركب على ظهره ، يادادتى ساعديني على ركوب الحمار .

فساعدتها المربية ، واطمأنت روز على ظهرى ،

وأراد جاك أن يقودني ، فلم يكن لي لجام يمسك به .

فقال للمربية : انتظري ، سأربط منديلي في رقبته بدل اللجام ، وحاول جاك أن يلف منديله حول عنقي ، ولكنه كان صغيراً لا يحيط به ، فأعطته الدادة منديلها وكان أيضاً صغيراً لا يكفي .

فكاد جاك يبكي لأنه لم يجد ما يستطيع أن يقودني به ، وقال للمربية : ما العمل اذن ؟

فأجابته : لنذهب أولاً الى القرية نطلب لجاماً أو حبلاً ، هلمي فانزلي ياروز . ولكن روز تعلقت برقبتي وقالت : لا ، أنا لا أريد النزول ، أنا أحب أن أبقى فوق ظهره حتى يوصلني الى المنزل .

فأجابت المربية : كيف ذلك وليس معنا لجام تقوده به ، وانظري فأنه واقف لا يتحرك ، كأنه حمار من خشب .

فقال جاك :

انتظري يا دادتي ، وسترين ، فأنا أعرف أن اسم هذا الحمار كديشون ، كما اخبرتني الأم ترانشيه ، وها انا سألاطفه واقبله وأظنه بعد ذلك سيتبعني بغير لجام .

واقترب مني جاك ، وقال لي في أذني بصوت خافت : امش يا كديشون ، أرجوك أن تمشي ؟

فتأثرت بما بدا من هذا الطفل من الثقة بي ، ولاحظت أنه بدلاً من أن يطلب عصا يضطرني بها الى التقدم ، فأنه فكر في طريقة

ودية طيبة ، ولذلك لم يكد يتم كلمته السابقة حتى أخذت أسير أمامهم .

فقال جاك : أرأيت يا دادتى ؟ أنه يفهم كلامى ، وهو يحبني . وكان مبتهجاً ، وقد احمر وجهه ، ولمعت عيناه فرحاً ، ثم تقدمني ليعرفني الطريق ، فقالت الدادة :

هل تظن أن حماراً يفهم شيئاً ؟ أنه مشى لأنه مل الوقوف هنا . فأجاب جاك : ولكن أنت ترين انه يتبعنى !

فقالت الدادة : ذلك لأنه يشم الخبز الذى فى جيبك .

فقال جاك : أتحسبين أنه جائع ؟

فأجابت : بغير شك ! الا ترى أنه فى غاية النحافة ؟

فقال جاك : هذا صحيح ، يا كديشون المسكين ، وانا لم أفكر في اعطائه ما معي من الخبز . ثم أخرج من جيبه قطعة من الخبز . التى أعطتها له الدادة لطعامه في هذه النزهة وقدمها الي بيده اللطيفة .

ولكنني كنت ممتعضاً من كلام الدادة وظنها أنني لم أمش إلا تطلعاً إلى ذلك الخبز ، فراق لى أن أثبت لها أنها لم تكن على صواب حين ظنت بى هذا الظن ، وأن أوكد لها أننى لم أحمل روز على ظهرى إلا تلطفاً وتودداً .

ولذلك رفضت تناول الخبز الذى قدمه إلى جاك ؛ وا كتفيت بأن الحس يده .

فقال جاك :

يا دادة ! انظري ! فانه يقبل يدى ، ولا يرضى قبول خبزى ، فما أحسن طبعك يا كديشون ! وما أحقك بالحب ، أنت ترين الآن يا دادة ، أنه يتبعنى لأنه يحبني ، وليس لأن معي قطعة من الخبز .

فأجابت الدادة :

لك رأيك اذا كنت ترى فى حمار ما لا يراه النـاس ، حتى تحسبه مثالا حسناً ، أما انا فأنني أعرف ان كل الحمـير أهل عناد وخبث ولذلك لا أحبها .

فقال جاك : كلا يا دادة ! كديشون هذا ليس خبيثاً ، انظرى كيف هو طيب معي .

فقالت : سترى اذا كان هذا يدوم منه

فالتفت اليّ جاك ، وقال بتلطف : أنت يا كديشون ستكون طيباً لي وللدادة ، وستستمر على هذا ، أليس كذلك »

فأدرت رأسى نحوه ، ونظرت اليه نظرة حنو ، أدركها مع حداثة سنه ، ثم أدرت رأسى نحو المربية ، والقيت عليها نظرة جفاء حادة ، أحست بها ، ولذلك قالت :

ما أقسى نظرته ، أن عليه سيماء اللؤم ، فأنه ينظر اليّ نظرة جارحة كأنه يريد أن يفترسني .

فدهش جاك وقال : كيف يمكنك يادادة أن تقولي هذا ؟ فأنه ينظر اليّ نظرة لطيفة ، كأنه يريد أن يقبلني .

والحقيقة أن كل واحد منهما كان مصيباً في قوله ، وأنا لم اكن مخطئاً فأنني اعتزمت ان اكون طيباً مع جاك وروز وأهل المنزل الذين يكونون طيبين معي ، ونويت أن أكون شديداً مسيئاً لمن يسيء معاملتي او يشتمني كما فعلت الدادة .

ولكن هذه الرغبة في الانتقام كانت أخيراً هي السبب فيما حل بي من المصائب ، فندمت على التخلق بالحقد ، وآثرت التسامح

وكنا نمشي مع الاستمرار فى الكلام ، حتى وصلنا الى منزل جدة جاك وروز ، فتركوني على الباب ، فوقفت وقفة حمار مهذب ، بدون أن أتحرك ، وبدون أن أتذوق شيئاً من الاعشاب والخضرة المحيطة بالمنزل .

ثم عاد جاك بعد دقيقتين ، ومعه جدته وهو يقول لها : تعالي ياجدتي ! انظري كيف ترينه لطيفاً ، وكيف هو يحبني ، لاتصدقي كلام الدادة عنه ، وأرجوك أن تصدقيني أنا .

فضحكت الجدة وقالت : سنرى ما يكون من هذا الحمار الشهير . ثم اقتربت مني ولمستني ، ولاطفتني وأمسكت أذني ووضعت يدها في فمي ، فلم يظهر علي ما يجعلها تخاف من انني أعض يدها ، ولم أبتعد عنها .

وقالت الجدة .

يظهر أنه لطيف جداً ، فكيف قلت يا اميلى ان مظهره يدل على الخبث والمكر ؟

فقال جاك :

أليس كذلك ياجدتي ، هو طيب كثيراً كما رأيت ، وانه يستحق أن نبقيه عندنا ، فقالت الجدة :

أنا أظن ياعزيزي . أنه طيب جداً كما قلت ، ولكن كيف نستطيع أن نبقيه عندنا وهو ليس لنا ، والواجب أن يعاد الى صاحبه .

فقال جاك : ليس له صاحب ياجدتي .

وكررت هذا القول أخته روز ، وقالت : لاشك ياجدتي فى ان ليس له صاحب .

فقالت الجدة : كيف لا يكون له صاحب ؟ هذا مستحيل .

فأجاب جاك : حقيقة ياجدتي ، ليس له صاحب ، هكذا أخبرتنى الأم ترانشيه .

فقالت الجدة : اذن كيف فاز بجائزة السباق لأجلها ، ومادامت أخذته لأجل السباق فلا بد أن تكون استعارته من أحد

فقال جاك : كلا ياجدتي ، هو جاء وحده ، لكي يجري مع الحمير . ولكن الأم ترانشيه دفعت رسم السباق لكي تأخذ ما يربحه ، وهو ليس له صاحب ، فأنه هو كديشون ، حمار المسكينة باولين ، التى ماتت

وطرده أهلها ، حتى أنه عاش طول الشتاء الماضى فى الغابة وحده .

فقالت الجدة .

كديشون ! الحمار الشهير ! الذي أنقـذ من الحريق سـيدته الصـغيرة ! اننى مسرورة بمعرفته . فأنه فى الحقيقة حمار نادر يستحق الاعجاب ، وتلفتت نحوي ، ثم أطالت النظر الىّ ، فكنت فخوراً بأن أسمع أن شهرتى ذاعت كما رأيت ، وانتعشت وفتحت خياشـيمي وهززت ناصيتى طرباً وابتهاجاً .

وقالت الجدة :

مسكين ، ما أشد نحافته ، أنهم لم يحسنوا مكافأته على اخلاصه ، قالت ذلك بلهجة صدق وأسف وتأنيب .

وسنبقيه عندنا يا أولادي ، مادام متروكا ومطروداً من الناس الذين كان يجب عليهم الاعتناء به ومعرفة حقه . ادع الي « بولان » ، فأننى أريد ان اكلفه بأن يضـعهُ فى الاصـطبل وأن يهيء له أسباب الراحة .

ففرح جاك وأسرع يسـتدعى « بولان » فحضر على الأثر .

فقالت له الجدة .

هـذا حمار اقتاده الينا الاطفال ، فضعه في الاصطبل وقدم له الاكل والشرب .

فقال بولان :

وهل يلزم أن نرده الى صاحبه بعد ذلك ؟

فقالت الجدة : كلا ، فأنه ليس له صاحب ، ويظهر أنه هو الحمار الشهير كديشون ، الذي طردوه بعد موت صاحبته الصغيرة وهو قد عاد الى القرية ورآه الاولاد ، فجاؤا به الى هنا وسنبقيه عندنا .

فأجاب بولان :

أن سيدتي أحسنت صنعاً باستبقائه ، فأنه لانظير له في هذه البلاد . ولقد حدثوني عنه أحاديث مدهشة وقالوا أنه يسمع ويفهم كل ما يقوله الناس حوله ، وسترى سيدتي مصداق ذلك ، تعال يا كديشون لتأكل حتى تشبع من الشعير الجيد .

فالتفت وتبعت بولان في ذهابه .

فقالت الجدة : هذا حقيقة مدهشة ، فأنه قد فهم الكلام . ثم عادت الى المنزل . وتركت معي جاك وروز فتبعاني الى الاصطبل ، فوضعوني فيه ، وكان يرافقني فيه فرسان وحمار

وقام بولان يساعده جاك بتهيئة موضع لنومي ، ثم ذهب بولان لاحضار الشعير .

فقال جاك : زد له الشعير ، فأنه يلزم له الكثير منه ، لأنه جرى طويلا .

فقال بولان : لا ياسيدي ، لا تكثر له ، فان الاكثار من الطعام يجعله حاداً شرساً ، فلا تستطيع أن تركبه أنت ولا أختك .

فقال جاك :

كلا ، فأنه طيب ، وانا مع ذلك نستطيع أن نركبه معاً .

فزاد بولان فى علفي واكثر من الشعير ، ووضعوا بجانبي جردلاً مملوءاً ماء وكنت عطشان فبدأت بشرب نصف الجردل ، واكلت الشعير ، وذكرنى لطف هذا الطفل جحود الأم ترانشيه . ثم تمددت على القش ورأيتني مضطجعاً كأنني ملك . ثم أخذنى النوم .



١٠

الكلب ميدور

عرفت الكلب ميدور من زمن بعيد وكنت حدثًا صغيراً وكان هو أيضاً حدثًا حين تعارفنا وتحابينا ، وكنت حينئذ أعيش عيشة البؤس عند اؤلئك الفلاحين الذين اشتروني من بائع حمير، وهم الذين تخلصت منهم بكثير من المهارة .

وكنت نحيفاً لأنني كنت دائمًا أتألم من الجوع ، أما ميدور فقد كان يعامل معاملة كلاب الحراسة ، وكان من أحسنها وأقواها ، ولذلك كان أقل بؤساً مني ، وكان يسلي الاطفال الذين يعطونه خبزاً ولبناً .

وفوق ذلك فأنه اعترف لي أنه حين يدخل الى مخزن اللبن مع سيدي أو مع الخادم فأنه كان يجد الفرصة لتجرع ما يصل اليه من اللبن أو القشدة وأن يفوز بكثير من قطع صغيرة من الزبدة التي تتناثر من أوعيتها .

وكان ميدور طيباً ، فانه أشفق عليّ لنحافتي وضعفي ، وأحضر اليّ ذات يوم قطعة من الخبز وقدمها اليّ بهيئة الظافر ، وقال لى بلسانه ، كل هذا فان عندي كثيراً من الخبز الذى يعطونه اياي

لأجل غذائى ، أما أنت فليس عندك الا قليل من الشوك والحشائش التي لا تكاد تكفي لأمساك الرمق .

فأجبته ، انك طيب ياميدور ولقد تكلفت من أجلي كثيراً ، وانني شاكر لمجهودك ، ولكنني لست كما تظن كثير التألم ، فقد تعودت الاقلال من الطعام والنوم ، والاكثار من العمل وكثيراً ما ذقت الضرب وتحملت العناء

فقال ميدور : أنا لم أتكلف شيئاً ، وانني أؤكد لك أني غير جائع . وأرجو أن تبرهن لى على محبتك اياي بقبولك هذه التقدمة الصغيرة . هي شيء قليل ولكني أقدمه لك بسرور ، واذا رفضت فأنني استاء منك .

فأجبت : قبلت اذن لأنني أحبك ، وأؤكد لك أن هذا الخبز لازم لى فانني جائع كثيراً . واكلت خبز ميدور الكريم ، وكان مسروراً وهو ينظر الى وأنا أمضغ وأبلع . ووجدت لذة في هذه الاكلة التى لم أكن متعوداً مثلها .

وذكرت ذلك لميدور مع حسن اعترافي بصنعه الجميل ، واقتضى هذا الرضا والشكر أنه استمر على أن يحضر لى في كل يوم اكبر قطعة من الخبز الذي يقدمونه له .

وكان يجيء ليلا وينام بقربي تحت الشجرة أو على النبات الذي استحسن ان أقضي الليل فوقه .

وكنا نتفاهم حينئذ ولا يسمعنا أحد لأننا كنا نتحدث بغير كلام . فنحن الحيوانات لا ننطق بكلمات مثل الناس ولكننا نتفاهم بلحظات العيون وبحركات الرؤوس والآذان والأذيال ونتفاهم بها فيما بيننا كما يتفاهم الناس بالكلام .

وفي ذات ليلة رأيته عائداً اليّ حزيناً مكتئباً وقال لى ، يا عزيزي . انني أخشى ان لا استطيع في المستقبل أن أحضر اليك ما تعودت من الخبز ، لأن سادتى قرروا أنني كبرت ولم يعد من اللازم أن اكون مطلق السراح طول النهار ، ولذا فلا يحل رباطي الا في الليل لأجل الحراسة . وفوق ذلك فأن سيدتي عنفت الاطفال على ما كانوا يعطونه اياي من الخبز الكثير ، ومنعتهم من أن يعطونى شيئاً في المستقبل ، لأنها تريد أن تطعمني بنفسها طعاماً قليلاً ، وذلك في زعمها يجعلنى كلب حراسة مقتدر .

فقلت له : يا حبيبي ميدور ، اذا كان الخبز الذي كنت تحضره اليّ هو الذي يكدرك فتأكد أننى الآن لست في حاجة اليه .

وذلك لأننى اكتشفت في هذا اليوم فتحة صغيرة في مخزن الدريس (البرسيم الناشف) ، وقد سحبت قليلاً منه ، وأظن أن في امكانى ان أتناول منه كل يوم كفايتي .

فأجاب ميدور ، انى مسرور بما تقول ، ولكنى أسر كثيراً اذا

قاسمتك ما يصل الىّ من الخبز ، ويحزننى كثيراً ان اكون مربوطاً طول النهار فلا أستطيع ان أراك .

ثم تحادثنا ايضاً مدة من الزمن وتركنى متأخراً .

وكان فيما قاله لى ، انني عندى الوقت الطويل لأنام نهاراً . وأما انت فليس عندك ما تصنعه في هذا الفصل .

ومضى نهار اليوم التالى دون ان أرى وجه هذا الصديق ، فلما جاء الليل انتظرت بصبر نافذ ثم سمعت صوته ، فركضت نحو الزريبة فرأيت الفلاحة الخبيثة تقبض عليه من جلد رقبته ، وكان جول وهي تمسكه يضربه بكرباج طويل .

فوثبت داخل الزريبة من شرم لم يكن مقفلا والقيت نفسي على جول وعضيته في ذراعه بحالة اضطرته الى القاء الكرباج من يده ، وأفلتت الفلاحة الكلب ميدور من يدها فنجا ، وهذا هو الذى أردته . ولذلك تركت ذراع جول بعد تركها رقبة ميدور . وبينما انا عائد الى مكانى ، شعرت بمن يقبض على أذنى ، وكانت هي الفلاحة ، قبضت عليّ بيديها ، وصرخت في وجه جول وهي تقول :

اعطنى الكرباج الكبير ، وانا أؤدب هذا الحيوان الشرس ، الذى لم أر أرذل منه في الدنيا ، هات الكرباج او اضربه انت بنفسك .

فأجابها جول : انا لا استطيع تحريك ذراعي فأن العضة خدّرته وهي تؤلمنى ألمًا شديداً .

فقبضت الفلاحة بيديها على الكرباج الساقط على الأرض وسعت نحوي لكي تنتقم مني لابنها المجرم ، ولم أكن احمق لانتظر أذاها ، كما يمكن ان تظنّوا ، لانى ، قفزت قفزة شديدة حين همت أن تقبض عليّ ، فاستمرت تتبعني واستمريت في الجري تخلصاً منها مجتهداً في ان اكون بعيداً عن مدى السوط الذي فى يدها ، وراق لي هذا الجرى كثيراً ، ورأيت غضب الفلاحة يتزايد حتي تعبت ، وذلك لأنني اتعبتها في الجري حتى سال منها العرق ، فلم تقدر ان تصل اليّ بشر ولم تستطع أن تضربنى ولا بطرف الكرباج لشدة ما نالها من التعب .

وسرني أني قد أخذت لصديقى بثأره .

وبحثت عنه بنظري لأننى رأيته يجري حول الاصطبل ، ولكنه كان ينتظر حتى تغيب سيدته القاسية عن نظره .

وسمعتها تصيح وهي مغضبة ، تقول لى : سأنتقم منك وأجازيك أشد الجزاء حين تكون تحت البردعة

وبقيت وحدى ، ورأيت ميدور يخرج رأسه بخوف وحذر ، من الحفرة التى كان قد اختبأ فيها ، فركضت نحوه ، وقلت له ، لقد ذهبَتْ !

ثم سألته ، ماذا فعلت بك ؟ ولماذا أمرتْ جول بضربك ؟

فأجاب : ذلك لانني قبضت على قطعة خبز ألقاها بعض الأولاد علي الارض . فلما رأتني نهضت الىّ ونادت جول وأمرته ان يضربني بغير رحمة .

وسألته : ألم يوجد أحد يُفكر في الدفاع عنك !

فقال منكراً : هم يفكرون في الدفاع عني ؟ كلا ، فانهم بمجرد رؤيته يرفع السوط ويهم بالضرب تصايحوا : اضربه يا جول ، لكي لا يعود الى ماكان منه . وأجابهم جول : انني لا أتركه حتى تسمعوا صياحه . فلما صرخت أول مرة صراخ الاستغاثة من شدة الضرب ، صفقوا بأيديهم وقالوا : عافاك ! برافو ! اضرب ثانياً .

فتأسفت وقلت : ملاعين هؤلاء الصغار ، ولكن قل لي يا ميدور : لماذا أخذت تلك القطعة من الخبز ؟ ألم تكن تناولت فطورك ؟

فأجاب : نعم كنت أفطرت ، ولكن الخبز الذى كان في فطورى كان قليلاً جداً لا يكاد يكفيني ، ولو كنت استطعت أن انقل اليك تلك القطعة الكبيرة التي ضربت من أجلها ، لكنت أحضرت لك أكلة لذيذة مشبعة .

فقلت : مسكين يا صديقي ميدور ، اذن كان ضربك من أجلي . اشكرك يا صديقي ، ولا أنسى مودتك وفضلك . ولكن أرجو ان لاتعود لمثل هذا . وهل تظن ان هذا الخبز يلذ لي ، اذا كان يسبب

لك ألمًا ؟ انا أفضل ان لا أعيش الا بالحشائش والشوك ، وان أعلم أنهم يحسنون معاملتك ،

ثم تحادثنا طويلاً فى غير ذلك ، وطلبت منه أن لا يعرّض نفسه بعد هذه المرة للأذى من أجلي .

ثم اننى في نفس اليوم أوقعت جول وأخته في حفرة مملوءة بالماء ، وتركتهما يتخبطان فيه وتخلصت . وفي مرة أخرى تتبعت الطفل الذى عمره ثلاث سنوات بحالة أوهمته اننى سأعضه ، فصاح وجرى وهو مرعوب ، وفي مرة ثالثة كان على ظهرى حمل من البيض فتظاهرت بأني اشعر بمغص شديد ، وصرت أدور في الطريق واجرى حتى تكسر اكثر البيض

ومع أن الفلاحة كانت مغتاظة ، فانها لم تجسر على ضربي ، لأنها ظنت أننى كنت حقيقة مريضاً ، وحسبت أننى سأموت ، وان الثمن الذى دفعوه في شرائى سيضيع عليهم ، فبدلا من ان تضربنى أخذتنى برفق وأحضرت الىّ شعيراً ونخالة . ولم ألق في حياتي أحسن من هذه الرحلة . وفى المساء حدثت ميدور بكل ما جرى فاستلقينا من الضحك .

وفى مرة رابعة رأيت كل ثياب الفلاحة منشورة على الحبال فأخذتها بأسناني قطعة فقطعة ثم القيتها فى حفرة مملوءة بالماء القذر ، ولم يرني أحد . فلما رجعت الفلاحة لم تجد الغسيل على الحبال ، وبعد

بحث طويل وجدتها فى ذلك المستودع فتغيظت كثيراً ، وضربت الخادم ، والخـادم ضربت الأولاد ، والأولاد ضربوا القطط والكلاب والخرفان ، وكانت موقعة لطيفة فى نظرى لأنهم كانوا كلهم يضجون و يلعنون وهم مغتاظون . وضحكنا كثيراً في مساء ذلك اليوم ، أنا وميدور

ولما فكرت في ماجرى مني ندمت كثيراً ، لأنني جازيت الأطفال الأبرياء بذنوب غيرهم ، وعاتبني ميدور على ذلك ونصحني بأن أكون أحسن أخلاقاً . ولكني لم أصغ اليه بل ازددت سوءاً عوقبت عليه عقاباً شديداً كما سترى أيها القارىء

ففي يوم من أيام البؤس والشقاء والحزن ، مر رجل فرأى ميدور فناداه ولاطفه ثم توجه الى صاحب المزرعة واشتراه منه بمائة فرنك ، وكان صاحب المزرعة فرحا مسروراً لأنه يعرف انه يشتري كلباً آخر ببعض هذا الثمن .

وفي الحال ربط صديقي بحبل ، وقاده سيده الجديد ، وذهب وهو ينظر الي نظرة حزن وأسف على الفراق . فجريت كثيراً ودرت في انحاء الزريبة لكي أجد ممراً أخرج منه فلم أجد ، وأسفت كثيراً لانني لم أستطع القيام بتوديع صديقي وتشييعه فى سفره .

ومنذ ذلك اليوم اشتد بي الضجر ، وكان هذا بعد حادثة السوق بمدة ، وبعد هروبي الى الغابة . وفي أثناء السنين التالية لذلك فكرت

كثيراً في صديقي ، ولـكن أين أجده ؟ وقد عرفت ان سيده الجديد لم يكن يسكن البلدة وانه لم يكن جاءهما الا لرؤية صديق له .

ولمـا قادني جاك نحو جدته ، دهشت دهشـة عظيمة ، حين أبصرت صُـديقي ميدور عندها ، وكانت دهشة عظمى للناس جميعاً حين أبصروا ميدور يهرول نحوي و يتودد الي ، وأنا أتبعه حيث كان. وظنوا أن ذلك الفرح من ميـدور كان سببه أنه وجـد له رفيقاً في النزهة .

ولو أنهم كانوا يسـتطيعون أن يعرفوا محادثتنا لفهموا ما بيننا من المودة والاخاء . وصار ميدور مسروراً من كل ما قصصت عليه ، من معيشتي الهادئة البسيطة ومن طيبة أسيادي ، ومن شهرتي المجيدة في البلد بعد حادثة السباق .

وكان يتألم معي لمـّا حكيت له ما أصابني من المتـاعب ، وكان يضحـك وهو يعتب عليّ لتلك الافعال التي فعلتها مع تلك الفلاحة التي اشترتني ، ثم يأسف على ماسمع من جحود أهل باولين وانكارهم جميلي في انقاذ بنتهم من النار ، وذرفت عيناه دمعة حارة حزناً على تلك الطفلة المسكينة .

ولم يفته انتقاد الأم ترانشيه لأنها تركتني بعـد ان فُزتُ لها بالجائزة ، حتى اذا كان لها عذرها من الفقر .

١١

الحمار العالم

وفى يوم من أيام الربيع ، رأيت وأنا أتناول الطعام فى المرج أن الاطفال تجري بقرب المنزل ، وكان لويس وجاك يلعبان بقربى ، وكان يروق لهما أن يتبادلا الصعود فوق ظهري ، وكأنهما يحسبان نفسيهما خفيفين في اللعب ، وهما كانا ، والحق يقال ، غير خفيفي الوزن ، خصوصاً جاك ، فأنه كان سميناً ولو أنه أصغر سناً من ابن عمه . وكان لويس يتعلق بي وربما شد ذيلي قبل صعوده ، وكان جاك يجتهد كثيراً حتى يتعب ليسبقه الى الصعود فوقي ، ولكنه لفرط سمنه كان يسقط ويدور ولا يستطيع الوصول الا بمساعدة قريبه . ولكي أوفر عليهم التعب ، وضعت نفسي بجانب مرتفع من الارض يسهل عليهما الصعود منه . أما لويس فقد برهن على خفة حركته بالصعود مباشرة ، وأما جاك فانه استفاد من هذا الموقف الجديد وركب بسهولة . وفى هذه اللحظة سمعنا سرباً من الاطفال فرحين وكان اثنان من بينهم يصيحان . عندنا بعد غد العاب جميلة ، فى المولد ! وسنتفرج على الحمار العالم العالم !

فقال جاك :

الحمار العالم : ماهو هذا الحمار العالم ؟

فقالت اليز : هو حمار تعلم كل انواع الدوران .

فقال جاك : أي دوران ؟

فأجابت مادلين : دوران . . دوران . . دوران والسلام !

فقال جاك : ما أظنه يفعل ما يفعله كديشون .

فقال هنري : كديشون بلا شك طيب وذكي من بين الحمير ولكنه لا يستطيع ان يفعل ما يفعله الحمار العالم فى المولد .

فقالت كاميل : انا واثقة أنه يقدر أن يفعل كل ما يعلّمونه أن يفعله

فقال بيير : لننظر أولا ، ما يصنعه ذلك الحمار العالم ، ثم ننظر اذا كان كديشون يستطيع فعله أم لا .

فقالت كاميل : الحق مع بيير ، وعلينا أن ننتظر الى ما بعد انتهاء المولد .

فقالت اليز : اذن فماذا نصنع بعد المولد ؟

فقالت مادلين : وهي ضاحكة : نتناقش في الموضوع .

وتهامس جاك ولويس ثم سكتا ، وبعد تحققهما من انصراف سائر الاطفال ، وانهما لا يراهما ولا يسمعهما أحد ، صارا يتغنيان بنشيد يذكران فيه اسمي ، ويطلبان منى أن اكون عارفا بكل ما يفعله الحمار العالم فى المولد ، ويقولان في هذا النشيد : —

كديشون شمرا والى السوق جرى
بانتباه دائم للحمار العالم
ناظراً أعماله حاكياً فعاله
فائقاً في صنعه بارعاً في طبعه
ليفوز بالثنا ويعود عندنا
وهو محمود على صنعه الذي علا

فقال جاك بعد انتهاء النشيد ؛ هذا الذى انشدناه جميل

فأجاب لويس . ذلك لأنه شِعر موزون

فقال جاك : شعر ؟ انا أظن أن نظم الشعْر صعب .

فأجاب لويس : هو سهل كما ترى

غير صعب بلا امترا

وها انا قد زدتك منه

فقال جاكْ : هيا بنا نُسمع أولاد عمنا هذا النشيد

فقال لويس : كلا ، فأنهم اذا سمعوه عرفوا ما نريد ، والأحسن ان نفاجئهم به مفاجأة فى نفس المولد

فقال جاك : وهل تظن أن أبى وعمى يرضيان بأن نذهب الى المولد ومعنا كديشون ؟

فأجاب لويس ؛ بلا شك ، خصوصاً اذا عرفّناهما سراً ، لماذا نريد ان يرى كديشون الحمار العالم .

فقال جاك : اذن هلمّ بنا نسرع فى هذا الطلب .

ثم جريا معاً نحو منزل ، وفى هذه اللحظة جاء الأب والعم الى المرج لكي يبصرا ماذا يصنع الاطفال ، فلما رآهما الطفلان اقبلا وقالا : عندنا شيء نريد أن نقوله .

فقالا : ماذا تريدان ؟ تكلما .

فقال لويس : انما تعلمان أنه سيوجد فى المولد بعد غد حمار عالم .

فأجاب والده : لا ، انا لا أعلم ، ولكن ماذا يهمنا من حمار عالم ، مادام عندنا الحمار كديشون ؟

فقال لويس ، هذا الذي قلناه ، وا كدنا أن كديشون أعلم من كل الحمير ، ولكن اخواتي وأولاد عمي سيذهبون الى المولد لرؤية ذلك الحمار العالم ، ونحن نريد ان نأخذ كديشون معنا الى هناك ، لكي يرى ما يصنعه ذلك الحمار العالم لكي يفعل مثله .

واستغرب والد جاك فقال : كيف تجعلون كديشون يتفرج فى وسط الجمهور ؟

وأجاب جاك : نعم يا بابا ، فاننا لا نذهب فى عربة ، ولكن نركب كديشون ، ونقف به بقرب الدائرة التى يلعب فيها الحمار العالم ألعابه ،

فقال ابوه : هذا ممكن ، ولكني لا أظن أن كديشون يستفيد شيئاً من رؤية هذه الالعاب مرة واحدة .

فالتفت جاك الىّ وقال : أليس كذلك يا كديشون ، ألست تقدر ان تعمل أحسن من أعمال الحمار العالم متى اطلعت اليها ؟

ولما وجه الىّ جاك هذا السؤال كان ينظر الىّ نظرة شك ، فنهقت لكي يطمئن ، وانا اضحك من ارتيابه .

فقال جاك : هل سمعتم ؟ ان كديشون أجاب بالموافقة . ثم ضحك ضحكة الظافر ، وتبعه أبوه وعمه فضحكا أيضاً ، وقبّل كل منهما ولده ، وذهبا وهما يعدان بأنني سأرسل الى المولد ، وأنهما والاطفال سيذهبون اليه معي ،

فقلت في نفسي : عجباً هما يرتابان في مهارتي ، أليس غريباً أن يكون الاطفال أذكى وأعرف بي من آبائهم ؟

وجاء يوم المولد ، وقبل موعد الذهاب بساعة عملوا لى الزينة الكاملة ، اى تنظيف تام ، وتمشيط الشعر ، ثم وضعوا علىّ بردعة ولجاماً جديدين . وطلب لويس وجاك أن يبكرا في الذهاب قبل الموعد مبادرة الى الوصول قبيل اللعب

فسأل هنري : لماذا تبكرون وكيف تذهبون ؟

فأجاب لويس : سنذهب راكبين كديشون ، وسنبكر في المسير

فقال هنري : أتذهبان انتما وحدكما ؟

فقال جاك : كلا ، فان أبى وعمي سيذهبان معنا

فقال هنري : لكن مسير مسافة ميل يكون شيئاً مملا

فقال لويس : لا ، نحن لا نمل شيئاً ومعنا أبوانا .

فقال هنرى : أنا افضل أن أذهب بالعربة ، وبذلك نصل قبلكم.

فأجاب جاك : كلا ، لا تصلون قبلنا ، لأننا سنقوم قبلكم بمدة.

ولما انتهوا من كلامهم كنت متهيأ للسير وأنا على أحسن ما يكون من الزينة، وكان الوالدان مستعدين ،فوضعا الطفلين على ظهرى،وسرت بهما متمهلاً لكي لا أكلف الوالدين مشقة الاسراع وهما يمشيان بجانبي .

وبعد ساعة وصلنا الى ساحة المولد، وكان هناك جمع من الناس قرب دائرة محاطة بحبل ، وهي التي سيظهر فيها الحمار العالم ما يعلمه .

وتركنا والدا الطفلين بقرب الحبل ، ووصل بعدنا قاربهما ، ووقفوا بقربنا .

وقرعت الطبول ايذانا بأن زميلى العالم سيظهر ، وكانت الانظار متجهة الى المكان الذى سيخرج منه . ثم فتح الباب وظهر الحمار العالم.

وكان نحيفاً ضعيفاً يلوح على وجهه الحزن والكآبة . ناداه صاحبه فاقترب منه بدون نشاط وعليه سيماء الخوف ، ولاحظت أن هذا الحمار المسكين كان قد ضُرب كثيراً ليحفظ ما علموه .

وتكلم صاحبه فقال :

أيها السادة والسيدات ! أتشرف بأن أقدم لكم « ميرليفلور » أمير الحمير ، فهو حمار ليس كسائر الحمير ، بل هو حمار عالم ، اكثر علماً من كثير من الموجودين بينكم ، فهو حمار بارع ليس له نظير .



فقال صاحب الحمار العالم : ايتها السيدات وأيها السادة

هلم ياميرليفلور ، أظهر لنا ما تعـلم . فبدأ يحيّ السادة والسيدات كما يُنتظر من حمار مهذب .

وكنت متكبراً ، فأغضبتني تلك الخطبـة ، واعتزمت أن أنتقم قبل نهاية الفصل .

ثم تقدم ميرليفلور ثلاث خطوات وحيّ الجمهور بهز رأسه ، ولكن كانت تبدو عليه الـكآبة والشكوى .

وقال له صاحبه : هيا ، قدّم هذه الصحبة من الأزهار الى أجمل سيدة في هذا الجمع !

فضحكت لأنني رأيت كل أيدي السـيدات تهيأت وامتدت واستعدت لاستلام الصحبة منه .

ودار ميرليفلور في طرف الدائرة التي يحيط بهـا المتفرجون ثم وقف أمام امرأة سمينة غير جميلة ، علمت حينئذ أنها امرأة صاحب الملعب ، وأنها كانت تحمل اليـه في يدها سكراً ، وبعد وقوفه وضع عندها الازهار

فضايقني منه ما رأيت من قلة ذوقه ، ووثبت الى داخل الدائرة من فوق الحبل ، بين دهشة عظيمة من الجمهور ، ثم تقدمت ونظرت الى الجمهـور محيياً من كل جانب : أمام ووراء ، وعن اليمين وعن اليسار .

ومشيت بخطى ثابتة مطمئنة نحو المرأة السمينة ، وانتزعت الصحبة من عنـدها وذهبت بها ثم وضـعتها على ركبتي الطفلة « كاميل » وعدت الى مكاني والجمهور يصفق بيديه تصفيقاً حاداً .

وتساءل الناس : ما معـنى ما كان من ظهوري بذلك المظهر ؟ وظن بعضهم أن ذلك كان شيئاً ممهداً من قبل ، وأنه يوجد فى الدائرة حماران عالمان لا حمار واحد ، ولكن الذين رأونى فى صحبة سادتي من الأطفال والرجال ، والذين يعرفوننى من غيرهم كانوا مبتهجـين بذكائى و براعتى .

وظهر الغضب على وجه صاحب الحمار ميرليفلور . وكان هذا غير متأثر بتفوقي عليه وانتصاري ، فبدأت أفهم أنه حقيقة بهيم . واذكر هنا أن هذه البلادة نادرة فى جنسنا .

ولما ساد السكوت ناداه صاحبه ثانياً :

تعال يا ميرليفلور ؟ وأظهر لهؤلاء السادة والسيدات ، أنك بعد معرفتك تمييز الجمال ، تستطيع أن تميز الحماقه ، فخذ هـذه البرنيطه وضعها على أحمق رأس فى هذا الجمع .

وقدم له برنيطة حمار ، علقت فيها أجراس صغيرة ، وزينت بشرائط حريرية ملونه .

فأخذها ميرليفلور واتجه بها نحو غلام أحمر سمين كان هز رأسه مقدماً ، استلفاتاً للحمار العالم ، واستعداداً لاستلام البرنيطة منـه .

وكان من السهل ، لمشابهته لتلك المرأة السمينة التي ادعت زوراً أنها أجمل من في الحفلة ، ملاحظة أن ذلك الغلام لم يكن إلا ابن صاحب الملعب وأنه متواطىء معه على ما حصل .

ورأيت أن هذه هي الفرصة السانحة للانتقام من ذلك الغبي على ما صدر منه من الكلام المهين .

وقبل أن يفكر الناس في ظهوري على المرسح تقدمت ثانياً إلى داخل الدائرة ، وسعيت نحو زميلي ، وانتزعت منه البرنيطة ، فى اللحظة التي همّ فيها بوضعها على رأس ذلك الغلام ، وقبل أن يلحظ المعلم صاحب الملعب شيئاً جريت نحوه ووضعت يديّ (قائمتي) الأماميتين على كتفه وهممت بوضع البرنيطة على رأسه هو ، فقاومنى بعنف وصار في غاية الشراسة ولكن ضحك الجمهور وتصفيقاته المتواترة كانت تسمع فى هذه اللحظة من كل جانب.

وصاح الناس : برافو ! هذا هو الحمار العالم الحقيقي .

وصرت مأخوذاً متشجعاً بتصفيق الجمهور ، فبذلت جهداً آخر فى الباسه برنيطة الحمار فبمجرد انسحابه تقدمت وتسابقنا مسابقة شديدة ، فهو أفلت منى بكل قوته وأنا جريت وراءه ، ثم تنشطت ووثبت فوق ظهره ، ووضعت يديّ على كتفيه ، واعتمدت برجلي على ظهره ، فسقط على الأرض .

وانتهزت فرصة سقوطه فوضعت البرنيطة على رأسه . وأوغلتها فيه إلى الذقن ، وانسحبت فجأة . وقام الرجل فلم يستطع أن يراني لأن عينيه كانتا محجوبتين بالبرنيطة ، وكان هو فى غاية الخجل من سقوطه ، فكان يداري خجله بالدوران والوثب ضمن الدائرة ، واتماماً لهذا الدور من اللعب كنت أجاريه فى الدوران والوثب مثله .

ثم قطعت هذه المحاورة بأن ذهبت اليه ، ثم عضيته فى أذنه ، ثم اعتمدت على رجليّ ووثبت مثله تارة الى الأمام وتارة الى الوراء .

وليس من السهل أن أصف لكم ما كان عليه الجمهور المشاهد من الابتهاج والتأثر والاستغراب ، وما أظن أن حماراً فى الدنيا نال من الاعجاب والظفر مثل مانلت فى تلك الحفلة .



سقوط الرجل والباسه البرنيطة

واقتحم الناس الدائرة وكان كثيرون منهم يقتربون مني ويلاطفونني لأنهم يريدون أن يبصروني من قرب ، وصار الذين يعرفونني يفتخرون بي ويذكرون اسمي ويعرفون بي من لم يكن يعرفني ، ويحدثونهم عن عجائب أعمالي بالصدق وبالكذب ، وبما رأوا من نوادري المعروفة عندهم . فقال أحدهم انني أطفأت حريقاً وحدي بتمشية خرطوم ماء وتوجيهه الى النار ، وبأنني صعدت الى الدور الثالث ، ثم فتحت باب سيدتي الصغيرة وقبضت عليها وهي نائمة في سريرها ، ولما كان اللهيب يملأ السلالم والشبابيك ، وثبت من الدور الثالث بعد الاعتناء بسيدتي ووضعها فوق ظهري ، وأنه لم يصبنا أذى ولا جرح في ذلك الوثوب . لأن الملاك الحارس الذي كان يحفظ سيدتي ساعدنا في الهواء ، حتى وصلنا الى الارض بسلام، وقال آخر انني قتلت في ليلة واحدة كثيراً من اللصوص لأنني عضضتهم بأسناني واحداً بعد واحد ، بحالة لم تسمح لواحد منهم بالاستعانة بصاحبه والتخلص مني ،

وانني ذات مرة فزت في السباق على جميع حمير البلد ، وأنني جريت في شوط واحد مدة خمس ساعات . . وقطعت ٢٥ فرسخاً بدون وقوف . . .

هكذا قالوا . ومن عادة الناس المبالغة وتكبير الصغائر . وكان

الاعجاب بي يزداد كلما انتشر هذا الكلام بين الناس ، وكانوا يدورون حولي ويتفرسون فيّ ، واضطر رجال البوليس الى تفريق الناس عني منعاً للزحام ، وسرني من حسن الحظ أن أقارب لويس وجاك حملوا الاطفال وأبعدوهم ، حين رأوا تجمهر الناس وازدحامهم حولي . وتكلفت تعباً كثيراً لكي أخلص من الناس ، ولم أخلص الا بمساعدة البوليس ، وكاد الناس يحملونني اعجاباً . واضطرني الحياء الى التخلص منهم خجلا من هذا التشريف ، ولم أتخلص الا بأنني كنت أمد فمي في كل ناحية لأعض بأسناني من يقترب مني ، وكنت أهم برفس خفيف برجلي تنفيراً لهم ، ولكني كنت شديد الحرص وعظيم الحذر من أن أجرح أحداً ، وأردت بذلك أن أجعلهم يخافون مني فيفسحون لي الطريق .

ولما تخلصت من الجموع تلفت في كل ناحية ، فلم أجد لويس ولا جاك ، ولم أرض بأن هذين الصغيرين العزيزين يرجعان الى المنزل مشياً علي الاقدام . فلم أضيع الوقت في التفكير ، بل جريت الى الاصطبل المعتاد وضع الخيول فيه فدخلت فيه فلم أجدهما لأنهما ذهبا .

وحينئذ أسرعت السير في الطريق الموصل الى المنزل ، فأدركتهم وهم يركبون عربتين اثنتين تكدس فيهما الاطفال مع الرجال فوق بعض حتى كانوا خمسة عشر راكباً في هاتين العربتين .

فلما لمحني الاطفال صاحوا مبتهجين : كديشون ! كديشون !

فوقفت العربتان ، وطلب جاك ولويس أن ينزلا لكي يقبلانى و يثنيا عليّ ، ثم تبعهما سائر الاطفال ونزلوا جميعاً .

وقال لويس وجاك :

أرأيتم كيف أننا كنا نعرف اكثر منكم ذكاء كديشون وخفة روحه؟
أرأيتم كيف كان متيقظاً ، وكيف أنه بسرعة أدرك تلاعب ميرليفلور وصاحبه الغبي ؟

فقال بيير : هذا صحيح ، ولكننى أحب ان أعرف لماذا اجتهد كديشون فى وضع البرنيطة على رأس صاحب الملعب ؟

أذلك لأنه أدرك أن ذلك الرجل غبي ، وأن تلك البرنيطة كانت علامة الغباوة والحمق ؟

فقالت كاميل : بلا شك هو أراد هذا ، ومن السهل عليه ادراكه .

فضحكت اليز ، وقالت : ها ، أنت تقولين هذا لانه قدم اليك صحبة الازهار ، باعتبارك أجمل من فى الحفلة .

فأجابت كاميل : كلا ، أنا لم أفكر فى ذلك ، حتى اننى فى هذه اللحظة التى كنت تتكلمين فيها تذكرت اننى كنت مدهوشة ، وكنت أتمنى أنه كان قدم الصحبة الى ماما ، فانها هى التى كانت أجمل من فى الحفلة .

فقال بيير : أنت التى كنت تمثلينها ، وأن الحمار فى غياب خالتي لم يكن يستطيع أن ينتخب غير التى انتخبها .

فقالت مادلين : وانا هل كنت غير جميلة ؟

فقال بيير : كلا ، بدون شـك ، ولـكن المسئلة مسئلة ذوق ، وذوق كديشون كان فى اختيار كاميل .

وقالت اليز : بدلاً من اننا نتـكلم فى الجميـلات وغير الجميلات ، يلزمنا أن نسأل كديشون ، كيف أمكنه أن يفهم كلام ذلك الرجل.

وتأوهت هنريت ، وقالت : واأسفاه على أن كديشون لايمكنه أن يتكلم ، والا فقد كان يحدثنا بأحاديث عجيبة .

فقالت اليز : من يدرى أن كان يفهـم كلامنا ، أنا قرأت مذكرات عروسـة (لعبة) فهل هـذه العروسة كانت تستطيـع أن ترى وأن تفهـم ، فانها كتبت فى مذكراتها أنها كانت ترى وتسمع كل شيء .

فقال هنرى : وهل تظنين أنت أن هذا صحيح ؟

فقالت اليز : نعم انا اصدق ذلك

فقال هنرى : كيف تستطيع اللعبة أن تكتب ؟

فقالت اليز : هى تكتب ليلا بريشة رفيعة جداً ، ثم تخفي مذكراتها تحت سريرها

فضحكت مادلين وقالت لاتعتقدي شيئاً من هذه الجهالات فانما هي سيدة من الكاتبات هى التى تكتب هذه المذكرات على لسان اللعبة ولكي تجعل ما تكتبه فكاهياً مقبولاً تظاهرت بأنها هى نفس اللعبة ، وكتبت على لسانها كأن اللعبة هي التى تكتب .

فقالت اليز : ألا تحسبين ان التى كتبت لم تكن هي حقيقة اللعبة ؟

فقالت كاميل : كلا ، بكل تأكيد ، وكيف تظنين أن اللعبة التى لاحياة فيها ولا روح لها والتى هى مصنوعة من الخشب والجلد ومملوءة بالقش تستطيع أن ترى وتفكر وتسمع وتكتب

وانتهت هذه المحادثة فوصلنا الى المنزل ، وبادر الاطفال ، فتقدموا مسرعين الى جدتهم التى كانت باقية فى المنزل وحدثوها بكل ما صنعت فى المولد ، وكيف أننى أدهشت وأطربت كل من كان فى ذلك المجتمع .

فقالت الجدة ، حقيقة أن كديشون حمار عجيب ، وتقدمت الىَّ تلاطفني واستمرت تقول ، لقد رأيت حميراً تفوق فى الذكاء كثيراً من الحيوانات ، ولكنى لم أر منها مثل كديشون ، ويجب الاعتراف بأن الانسان ليس منصفاً فى حكمه على الحمير .

سمعت هـذا فسررت والتفت نحوها ونظرت اليها نظرة شكر واعتراف بالجميل .

وسمعتها تقول أيضاً ، ومن يدرى لعله يفهم كلامي ، ويا كديشون تأكد أننى لا أبيعك ما دمت على قيد الحياة ، واننى سأعتنى بك كل الاعتناء جزاء ادراكك واحساسك بكل ما حولك

فتنهدت حين تذكرت عمرها الطويل وأنها بلغت التاسعة والخمسين وأنا لم اكد أبلغ السنة العاشرة . وقلت متمنياً :

يا سادتى الصغار ، اذا ماتت جدتكم ، فاحفظونى عندكم ، ولا تبيعونى ودعونى حتى أموت وأنا فى خدمتكم .

وتذكرت صاحب الملعب المسكين وندمت على ما فعلته معـه وما أخزيته به هو وحماره العالم ، فانكم لاتنسون الألم الذي سببته له ، فى سبيل اظهار مواهبي وبراعتى .



١٢
حسن الدفاع

كان طفل شقى يدعى « أوجست » من أولاد الجيران اعتدى عليّ بالضرب فانتقمت منه انتقاما شديداً :

وبينما أنا أحاول عبثاً اظهار الندم على مافعلت به اقترب الاطفال من المكان الذى كنت أفكر فيه وأنا أقرض الاعشاب

ورأيت أن أوجست وقف على مسافة منى ونظر اليّ نظرة هادئة .

وقال « بيير » : الدنيا حر فى هذا اليوم ، ولا أظن أنه يمكننا أن نقوم بنزهة طويلة لشدة الحر فالأحسن أن نمكث فى الظل فى هذه الحديقة .

فقال أوجست : الحق مع بيير ، خصوصاً لأن المرض الذى أصابنى وكدت أموت منه ، جعلنى ضعيفاً لا أقوى على رحلة طويلة.

فقال هنرى : لقد كان كديشون سبب المرض ، وأظنك حاقداً عليه وكارهاً لما جرى منه .

فقال أوجست : انا لا أظن أنه كان يقصدنى بما فعل ، فالظاهر أنه حصل له خوف من شىء فى الطريق ، فحمله الخوف على

الاضـطراب الذى كان سبب تلك الوثبة التى القتنى فى تلك الحفرة الخطرة ، ولذلك انا لاأحقد عليه ولـكن . .

فقال بيير : ولـكن ماذا ؟

فأجاب أوجست ، وقد احمر وجهه فجأة : ولـكن انا افضـل أن لا أركبه ثانياً .

فتأثرت بقول هـذا الطفل المسكين ، وزادت شهامته تأسفي وندمي على سوء ماجازيته به .

وشرعت « كاميل » و « مادلين » تستعدان لصنع الطعام ، وبنى الاطفال لهم فرناً من الرمل ، في الحديقة ، وأوقدوا فيه النار من الحطب الذى جمعوه بأنفسهم ، وتهيأوا لذلك بتمام الاستعداد ، فقام « أوجست » و « بيير » بجمع الحطب وقطعاه قطعاً صغيرة وملأا به الفرن .

وقبل أن يوقدوا النار فيه اجتمعوا ليتفقوا على ما يصنعونه طعاماً لهم ، فقالت كاميل : انا اصنع عجة .

وقالت مادلين ، وانا أصنع قهوة ولبنا . وتكلم كل واحد منهم عما يريد صنعه من أنواع الطعام .

وقال أوجست ، وأنا أقطع الخبز وأضع غطاء السـفرة واحضر الماء واجهز طلبات الجميع . وأخذ كل واحد منهم من المطبخ كل مايلزم لما يريد أن يصنعه ، فأحضرت كاميل البيض والزبدة والملح والفلفل

وقالت لأوجست : تفضل واوقد لي النار فأنها تلزم لتذويب الزبدة وتسوية البيض ، فسألها أين أضع النار ؟

فقالت بجانب الفرن و بسرعة ، فأنني كبسرت البيض . ونادت مادلين : أوجست . أوجست . أسرع باحضار اللبن من المطبخ فانني نسيته ، فأجاب ، ولكن يلزم الآن أن أوقد النار لأجل كاميل

وهكذا تشاغل الأطفال بصنع الطعام الذى أرادوه وشغلوا أوجست باستحضار طلباتهم كما تعهد

ثم نادى جاك : اطلبوا كديشون كي يجيء لمساعدتنا

فأجاب لويس : ماذا تريد من كديشون ؟

فقال جاك : يا كديشون انظر فان سلتى فارغة ، فاذهب واجتهد أن تملأها

فوجدت نفسي بجانب أربعة من الاطفال النهمين ، ووضع جاك السلة تحت أنفي لكي يفهمني ماذا يريد مني . فتوجهت الى المطبخ فرأيت فيه سلة من الكريز فأخذتها بأسناني وذهبت بها حتى وضعتها بين أيدي الأطفال الذين كانوا جالسين حول دائرة ينتظرون ، فصاح بعضهم فرحاً عند عودتي وتلفت الذين كانوا على غير مقربة مني حين سمعوا الصياح ، وتساءلوا ماذا جرى ؟

فأجاب جاك : هذا كديشون .

فقالت له جان : اسكت فأنهم يعرفون أننا أكلنا كل الكريز الذى كان عندنا .

فأجاب جاك : وماذا فى الامر اذا عرفوا ؟ أنا أحب أن يعرفوا كيف أن كديشون طيب وماهر . ثم مشي اليهم وحدثهم بما جلبت لهم أخيراً.

فلما علموا به لم يوبخوا الذين كانوا يريدون اخفاء السلة الأخيرة وانما مدحوا جاك لصراحته ، وأثنوا عليّ لذكائى ونشاطي .

وفى هـذه الاثناء أوقد أوجست النار لأجل كاميل ، وهى طبخت العجة ، ومادلين صنعت المهلبية ، واليز انضجتِ الضلوع ، وهنرى جهز السلطة وجاك صنع مربى من الكريز . ولما أتم كل واحد منهم صنع ما أختار صنعه ، وتم وضع الاطباق على المائدة ، ضربت كاميل يدها على جبهتها وصاحت

نحن لم يفتنا الا شيء مهم ، وهو اننا كنا نستأذن أمهاتنا فى أننا سنتغدى وحدنا ونأكل من طبخنا

فصاحوا ، فلنذهب اذن للاستئذان ، وأوجست يحافظ على المائدة . ثم ذهبوا جميعاً الى الصالون الذى كان فيه آباؤهم وأمهاتهم .

فدهشوا حين أبصروا الاطفال ووجوههم محمرة وعليهم آثار التعب ، وهم يضعون على صدورهم « مرايل » كأنهم خدم المطبخ .

وتقدم كل طفل الى أمه ، يستأذنها بلطف فى أن تسمح له بأن يتناول طعامه خارجاً عن المنزل ، فلم تفهم أمهاتهم لأول وهلة سبب هذا الطلب

ولكن بعد استفهامات واجابات صدر الاذن ، وعادوا جميعاً بسرعة الى مكان المائدة التى كان يحفظها أوجست ، ولكنهم لم يجدوه . فنادوه باسمه .

فأجابهم بصوت ضعيف كأنه آت من السماء . فرفعوارؤسهم فرأوه متسلقاً شجرة عالية وقد بدأ ينزل بتحفظ وتمهل .

فقال هنرى : لماذا صعدت هذه الشجرة ؟

فلم يجب ، ولكنه استمر فى النزول ، فلما وصل الى الأرض رأوه شاحب اللون مأخوذاً . فقالت مادلين :

لماذا تسلقت الشجرة يا أوجست ، وماذا حل بك ؟

فأجاب :

لولا وجود كديشون ، لما وجدتمونى ، ولما أدركتم طعامكم ، وانما تسلقت الشجرة لكي أنجو بنفسى

فقال بيير : قص علينا ماجرى ، وكيف أن كديشون أمكنه أن يخلص حياتك ويحفظ طعامنا ؟

وقالت كاميل :

هلموا بنا الى الطعام ، نتحدث ونحن حوله . فأننى اكاد أموت

جوعاً . وجلسوا على الخضرة والحشائش حول المائدة ، وقدم كل واحد منهم الطبق الذى جهزه ليأكلوا جميعاً منه ، وفى أثناء تناولهم الطعام قال أوجست :

انكم لم تكادوا تغيبون عنى حتى شاهدت كلبي العزبة الكبيرين هاجمين عليّ مدفوعين برائحة الطعام ، فأخذت عصا من فرع الشجرة ولكن الكلبين لما رأيا اللحم والبيض والخبز اتجها اليها ولم يباليا بالعصا ، وهما بالهجوم عليّ ، فضربت اكبرهما بها على رأسه فوثب على ظهرى .

فقال هنرى : كيف وثب على ظهرك ؟ هل استدار خلفك ؟

فأجاب أوجست وهو يحمر خجلا ، كلا فأنى كنت ألقيت العصا ، ولم يكن معي شيء أدافع به عن نفسى ، وأنتم تفهمون أنه لم يكن يصح أن أترك نفسى حتى يفترسنى ذلك الكلب المتوحش .

فأجاب هنرى ، بلهجة المستهزئ : فهمت اذن ، انك انت الذى أدرت ظهرك ، ونجوت بنفسك .

فقال أوجست . ولكنى ذهبت لأبحث عنكم ، فجرى ورائى الكلبان الهائلان ، على أن كديشون أدركنى فقبض بأسنانه على جلد الكلب الكبير من خلفه ، وألقاه على الارض فى اللحظة التى صعدت فيها على الشجرة ، ووثب الكلب الثانى فاقترب منى ، ولحق بى وأنا أصعد خائفاً حذراً ، فجر بأسنانه ثيابى وظننت أنه



الطفل وهو يتسلق الشجرة والكلب يمسك ملابسه بأسنانه (ص ٨ .

سيفترسني ، لولا أن كديشون نجاني من هذا الحيوان الخبيث ايضاً ، فأنه بعد ان عض الكلب الأول عضة شديدة وقذف به الى الأرض أسرع الى الكلب الثاني الذي أمسك بثوبي ، وقبض بشدة على ذيله ، فاضطره الى ترك ملابسي ، وبعد ان صار بعيداً عني هجم عليه كديشون ، وعضه عضة قوية في خده أظنها خلعت فكه .

وهرب الكلبان بعد ما أصابهما أذى شديد من كديشون ، وابتدأت في النزول عن الشجرة في الوقت الذي عدتم فيه .

فلما انتهى من حديثه استحسن الأطفال شجاعتي وأعجبهم ماقمت به من الدفاع الحسن وما كان من حضور بديهتي فيه ، وأقبل كل واحد منهم نحوي يحييني ويلاطفني ويصفق لي .

وقال جاك : وهو يهتز وعيناه تلمعان سروراً ، ألا ترون أن حبيبي كديشون أصبح عظيما ، أنا لا أدرى اذا كنتم تحبونه مثلي ولكني أحبه دائماً وكثيراً ، أليس كذلك يا كديشون ، اننا دائماً صديقان حميمان .

فأجبت بأحسن ما عندى من نهيق الفرح ، فضحك الأطفال جميعاً ، ثم عادوا الى المائدة واستمروا في الاكل ، ولما انتهوا منه كان

قد اقترب وقت رجوعهم الى الدراسة ، فلما سمعوا الجرس ، التمسوا التأخر ربع ساعة لأجل الاستعداد ، ثم لما مضى الوقت ذهبوا الى العمل وودعهم أوجست .

وقبل أن أذهب دنا منى أوجست ونادانى ، فلما رأى أننى مقبل عليه ، تقدم الىّ ولاطفنى وشكرنى بكلامه وحركته على الخدمة التى أديتها اليه ، فسرنى أن أرى منه هذه العاطفة ،

وثبت عندى أنه كان أفضل مما كنت أظنه أولا . وأنه لم يكن ماكراً ولا خبيثاً ، وأنه اذا كان جباناً وفيه بعض الغباوة فلم يكن ذلك ذنباً له ، وكان من حسن الحظ أننى اجتهدت فى يوم آخر فقمت له بخدمة أخرى .



١٣
السفينة

تحدث جاك مع اخوانه فقال :

ما أحسن أن يكون لنا دائماً غداء لذيذ كالذى كان فى الاسبوع الماضى ، لقد كان سائغاً مستحسناً .

فأجاب لويس : تذكر كيف كان مع ذلك غذاء جيداً تاماً

فقالت كاميل : أن الذى أعجبنى هو سلطة البطاطس والتوابل التى كان مافيها من الخل يجعلها شهية .

فردت عليها مادلين : أنا أعرف السبب ، ذلك لأن والدتك تمنعك غالباً عن الطعام الذى فيه شيء من الخل ، والانسان يشتهي ماغاب عنه .

فقالت كاميل : هذا جائز ، فان الاشياء التى يندر تناولها تظهر أحسن من غيرها ، خصوصاً اذا كان الطبع يشتهيها .

وقال بيير : أي شيء تختارون اليوم أن نتسلى به ؟

فهذا يوم الخميس ، يوم الفسحة ، وعندنا راحة الى وقت الظهر

فقال هنرى : هيا بنا نصطاد سمكا من البحيرة الكبيرة .

فقالت كاميل : فكرة طيبة ، وبذلك يكون عندنا لطعام الغد طبق من السمك اللذيذ

فقالت مادلين : كيف نصطاد ؟ هل عندنا أدوات صيد ؟

فأجاب بيير : عندنا صنانير كثيرة ، والذي ينقصنا هو القضبان التي يكون فى طرفها الخيط الذي تربط الصنارة به .

فقال هنري : يمكن أن نطلب من الخادم أن يشتري لنا ما يلزم من القرية .

فأجاب بيير : ذلك لا يوجد في القرية ولا بد من الذهاب الى المدينة وهى بعيدة .

وقالت كاميل : هذا أوجست مقبلا ، ولعل عنده ما يلزم لنا ، أو هو يذهب مع الخادم .

فقال جاك : أنا أذهب ، ولكن مع كديشون .

فقال هنري : لا يمكنك أن تذهب بعيداً هكذا وحدك .

فأجاب جاك : ليس بعيداً جداً ، فالمسافة نصف فرسخ .

ووصل أوجست فقال :

ما الذي تريدون أن تبحثوا عنه مع كديشون يا اخواني ؟

فأجاب بيير : نبحث عن قضبان وخيوط للصيد ، فهل عندك منها ؟

فقال أوجست : ليس عندي ولكن لا نحتاج للذهاب بعيداً

لأجل الحصول عليها ، فبالسكين يمكننا أن نصنع من الاغصان ما نريد من القضبان .

فقال هنري : هذا صحيح ، وكيف لم نفكر فى ذلك مع بساطته ؟

فقال أوجست : هيا بنا نقطع ما يلزم لنا من الغابة . وهل معكم المطاوي (السكاكين) ؟ أما أنا فمعي واحدة في جيبي .

فقال بيير : أنا عندي واحدة جيدة أحضرتها الي كاميل من لندرة .

وقال هنرى ، وأنا عندى واحدة أهدتها الي مادلين .

وأجاب جاك ولويس ، بأن كلا منهما يحمل واحدة أيضاً .

فقال أوجست ، تعاليا معنا الى الغابة ، وبينما نحن نقطع القضبان ، تنزعون أنتم القشر والاغصان الصغيرة منها .

وقالت كاميل ومادلين واليزا : ونحن ؟ ماذا نصنع فى أثناء ذلك ؟

فأجاب بيير : تصنعن باقي ما يلزم للصيد . فتحضرن خبزاً ودوداً وصنانير :

ثم قام كلّ منهم الى عمله .

أما أنا فاتجهت بهدوء الى البحيرة ، وانتظرت وصول الاطفال مدة نصف ساعة ، ثم رأيتهم قادمين ومعهم كل ما يلزمهم لأجل الصيد .

فقال هنرى : أظن أنه يلزم أن نضرب فى الماء لكي يعلو السمك بقرب سطحه

فأجاب بيير : كلا ، بل يلزم الهدوء التام . لأن السمك يهرب الى قرار الماء اذا أخفناه .

فقالت كاميل : أظن أن الأحسن أن نجلب الاسماك الينا ، بالقاء قطع صغيرة من الخبز .

فأجابت مادلين ، ولكن يلزم أن يكون ما نلقيه قليلا ، فاننا اذا أكثرنا لا يبقى السمك جائعاً ، ومتى كان غير جائع لا يقبل على ما فى الصنارة .

فقالت اليزا :

انتظروا واتركوني أجهّز قطع الخبز فى أثناء تركيبكم الصنانير .

وأخذت اليزا الخبز ، وبمجرد القائها قطعاً منه صعد الى سطح الماء نحو ست سمكات ، ولما رأت اليزا ذلك ألقت أيضاً خبزاً . فتبعها لويس وجاك وهنريت وجان وأرادوا

مساعدتها فى الالقاء أيضاً ، فألقوا كثيراً منه حتى شبع السمك ولم يعد يمسه او يقربه .

فقالت اليزا بصوت خافت ، تخاطب لويس وجاك ،

أخشى أن لانكون القينا الكفاية من الخبز ؟

فقال جاك : كيف هذا ؟ بل سيأكل الباقي فى هذا المساء أو غداً .

وقالت اليزا : ولكن أنا أخشى أن السمك لا يعض فى الصنانير لأنه لم يعد جائعاً الآن ؟

فقال جاك : اذا صح هذا فان أقاربنا لا يكونون مسرورين .

فقالت اليزا : لاتقولوا لهم شيئاً . هم مشغولون بالصنانير ، ومع ذلك فربما كان السمك يعض فى الطعم .

وأقبل بيير وقال ، ها هى الصنانير جاهزة ، فليأخذ كل واحد منا صنارة ، وليلق فى الماء صنارته .

فأخذ كل واحد صنارة وألقاها فى الماء كما قال بيير ، وانتظروا بضع دقائق ساكتين حذراً من الضوضاء ، ولكن السمك لم يعض فى شيء منها .

فقال أوجست : ليس هذا الموضع موافقاً ، فلننتقل الى مكان آخر

وقال هنرى ، يظهر أنه لايوجد هنا سمك ، فقد ألقينا كثيراً من قطع الخبز ولكنها باقية لم تؤكل .

فقالت كاميل : هيا الى طرف البحيرة بجانب السفينة

فأجاب بيير : الماء هناك عميق جداً .

فقالت اليزا ، وماذا يخشى من ذلك ، أتحسب أن السمك لا يعوم هناك ؟

فقال بيير : لا أخاف هذا ، ولكن أخاف على أنفسنا اذا سقط منا واحد فى الماء .

فأجاب هنرى ، وكيف تخاف ؟ نحن لا نقترب من الشاطىء كثيراً لكيلا نصل الى المكان العميق

فقال بيير : هذا صحيح ، ولكني لا أحب أن يذهب الاطفال الصغار الى هناك ؟

فقال جاك : يا سلام ، يا بيير دعني أذهب ، معك وليكن جلوسنا بعيداً عن الشاطىء .

فقال بيير : كلا . يجب أن تبقى في مكانك هـذا ونحن نعود لنأخذكم اذا اقتضى الحال ، لأنني لا أظن أنه يوجـد هناك سمك اكثر مما يمكن أن يوجد هنا . ثم خفض صوته وزاد فقال ، ولكن الحق عليكم اذا نحن لم نحصل على شيء ، فأنني رأيتكم وأنتم تلقون من الخبز فى الماء اكثر من اللازم حتى ضاعفتم الخبز اكثر مما ينبغى عشر مرات ، وأنا لا أريد أن أذكر ذلك لهنرى وأوجست وكاميل ومادلين ، ولكن من العدل أن تلقوا جزاء ما كان منكم من الطيش .

وامتثل الاطفال فلبثوا فى ذلك المكان مؤملين أن يصطادوا بعضاً من السمك فيه .

أما أنا فتبعت بيير وهنرى وأوجست فى ذهابهم الى طرف البحيرة : فألقوا أدوات صيدهم ، فلم يجدوا من النجاح فوق ما كان هناك ، فغيروا مواقفهم وجربوا الصنانير ، ولكن لم يظهر لهم سمك .

فقال أوجست ، يا اخواني : عندى فكرة ناجحة ، هي أننا بدلاً من أن ننتظر أن السمك يجيء وحده حتى نأخذه ، يمكننا أن نصطاد منه ١٥ سمكة مرة واحدة .

فقال بيير : كيف نعمل لنستطيع أن نصطاد منه خمسة عشر في مرة واحدة مع اننا لم نقدر أن نصطاد سمكة واحدة ؟

فأجاب أوجست ، ذلك بواسطة شبكة الصيد

فقال هنرى : لكن ذلك عمل صعب ، فأن أبي يقول انه يجب أن يعرف الانسان كيف يلقي الشبكة

فقال أوجست : صعب ؟ أي صعوبة ؟ أنا ألقيت الشبكة عشر مرات ، وعشرين مرة ، والقاؤها سهل .

فسأل بيير : وهل أخذت بها كثيراً من السمك ؟

فأجاب أوجست : كلا ، لم آخذ شيئاً من السمك لأنني لم ألقها في الماء .

فقال بيير : فكيف اذن ، وأين ألقيتها ؟

فأجاب أوجست : كان ذلك على الخضرة وعلى الارض وذلك لكي أتعلم كيف ألقيها .

فقال بيير : ولكن ليس الأمر واحداً في الحالتين ، وانا أظن أنك اذا ألقيتها في الماء سيكون القاؤك رديئاً .

فقال أوجست : أنت تظن أنني أرمي الشبكة رمياً رديئاً ؟ سترى اذا كنت اطرحها حسناً أو جيداً ، اذا أنا أحضرت الشبكة المنشورة في الحوش .

فقال بيير : لا يا أوجست ، فأنا أخشى أنه اذا حدث امر فان أبي يعنفنا .

فأجاب أوجست : وماذا تظن أنه يحدث ؟ ما دمت قد عرفتك أنهم عندنا يصطادون كثيراً بالشبكة . أنا ذاهب ، فانتظرني ، ولن أغيب .

ثم ذهب يجري وترك بيير وهنري وهما غير مطمئنين ، ولم يلبث حتى عاد وهو يجر وراءه الشبكة . وقال وهو يبسطها على الارض ، الآن فليحذر السمك . ثم القاها بنظام وسحبها بتحفظ وتمهل .

فقال له هنري : اسحب بسرعة لأجل ان تنتهي .

فقال أوجست : كلا بل يجب التمهل والهدوء لكي لا تنقطع الشبكة ولا تفر منها سمكة واحدة ، واستمر في سحب الشبكة . ولما تم اجتماعها عنده كانت كلها فارغة ولم يؤخذ فيها شيء من السمك .

فقال : أن مرة واحدة لا تُحسَب ، ولا يجوز اليأس ، وسأعاود .

وعاود القاء الشبكة ولكن لم يزد نجاحه في المرة الثانية عن الأولى .

فقال : عرفت السبب ، ذلك لأنني قريب جداً من الشاطىء ، وليس فيه الماء الكافي ، سأدخل في السفينة ، ونظراً لأنها طويلة فسأكون بعيداً عن الشاطىء وبذلك يمكنني أن أبسط الشبكة كما ينبغي في الماء العميق .

فأجاب بيير . كلا يا أوجست لا تفعل . ولا تذهب الى السفينة ومعك الشبكة ، فربما اختلطت بالحبال وربما انقلبتَ أنت في الماء .

فقال أوجست : أنت خائف ، كأنك طفل عمره سنتان . انا أشجع منك ، وسترى . ثم تقدم الى السفينة وطلع عليها وتجوّل فيها يميناً ويساراً . وتبيّن فيه الخوف وأن كان متظاهراً بالضحك . وأوجستُ خيفة من سوء تصرفه وتشبثه بأن يلقي الشبكة ، ولم يكن يحسن القاءها لأنه كان مضطرباً ، غير متوازن الجسم بسبب حركة السفينة ، فلم يتمكن من اجادة القبض بيديه على أطراف الشبكة فالتفت على قدميه ،

وحمله الزهو مع ذلك على أن يحملها ثم يلقيها ، ولكنه وقف فجأة خائفاً من السقوط في الماء ، فتعلقت الشبكة بكتفه اليسرى ، والتفت عليه وهزته هزة شديدة رمت به الى البحيرة ، وكان رأسه أول ما لمس الماء .

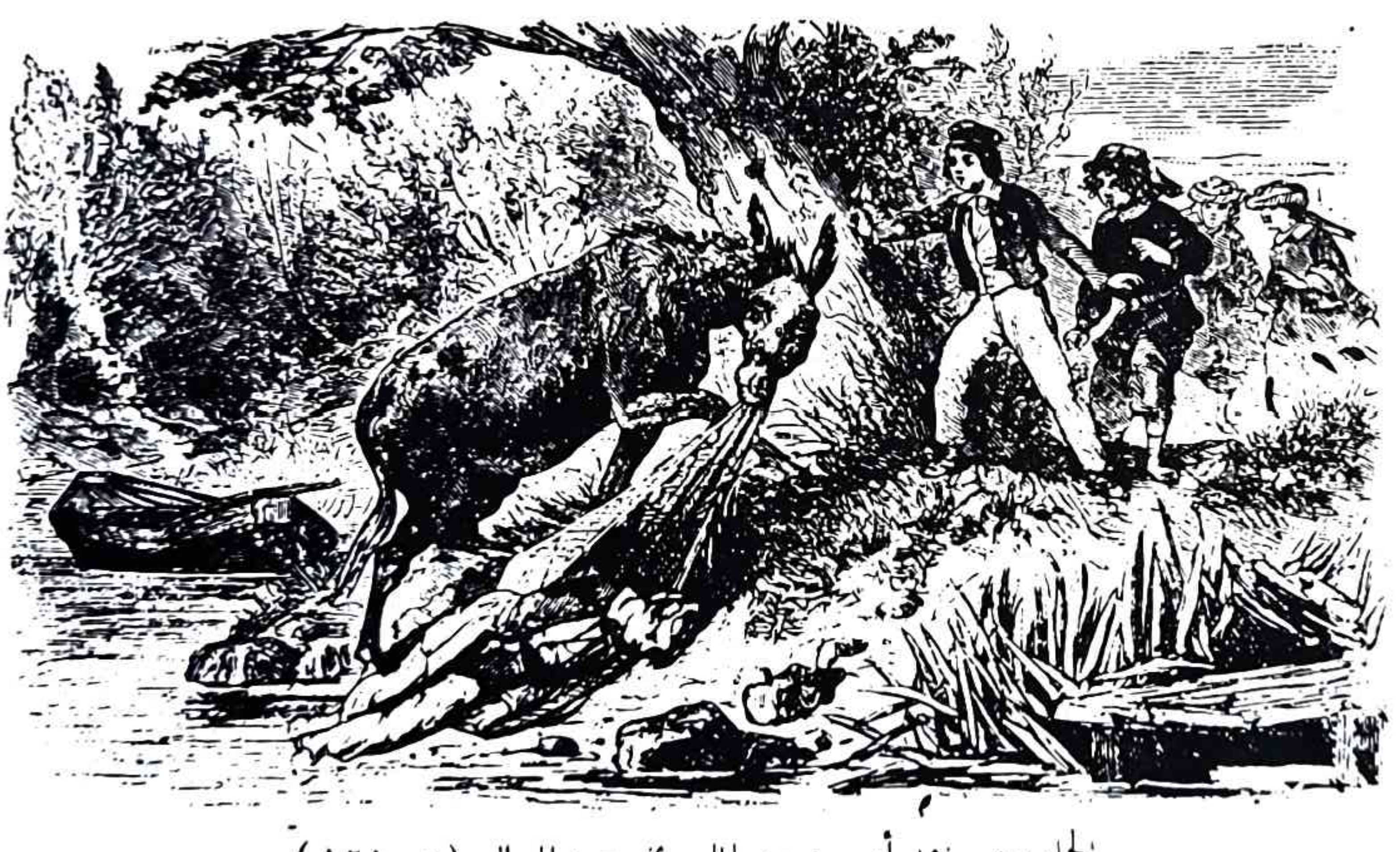
فصاح هنري و بيير صيحة فزع ، أعقبها صراخ الخوف والجزع الذى صرخه المسكين أوجست حين سقوطه ، وقد التفت عليه الشبكة ، وعاقته عن الحركة ، فلم يتمكن من العوم ليعلو على سطح الماء و يقترب من الشاطيء . وكان كلما حاول نفض الشبكة عنه كانت تشتد التفافاً على جسمه ، فأبصرته يغرق فى الماء شيئاً فشيئاً ، ولم يمض الا وقت قليل حتى غمر جسمه ،

ولم يكن بيير وهنري يستطيعان أن يقدما له أية مساعدة لأن كلا منهما لا يعرف العوم ، ولاحظت أنه اذا تأخر انقاذ أوجست حتى يتجمع الناس فانه يكون قد هلك .

فلم أقصر ، ولم اضيع الوقت قياماً بواجبي ، فبادرت والقيت بنفسي في الماء ، وسبحت نحوه ثم طفوت لأنه كان على عمق كبير من الماء ثم قبضت بأسناني على الشبكة التي كانت محيطة به وسبحت نحو الشاطيء وأنا أجره ورائي ، وكان وجهه وشعره يقطران ماء .

وكنت حذراً من أن يصطدم بحجر أو بجذع شجرة وأنا أجره ، حتى وصلت به الى الخضرة فتركته فوقها ، ولكنه كان جامداً لا يتحرك

وكان بيير وهنري مضطربين ، فتقدما نحوه ، وخلصاه بجهد شديد من الشبكة التى كانت تضمه وتضغط عليه ، ولما أبصرا كاميل ومادلين توجها اليهما وطلبا منهما السعي فى طلب المساعدة .



الحمار وهو ينشل أوجست من الماء ويخرج به الى البر (ص ١٢١)

وأقبلت الأطفال الصغار التى شاهدت عن بعد أوجست هو يسقط .

ولم يتأخر خدم المنزل عن المجيء ، فحملوا أوجست .

ومكث معي الاطفال وحدهم .

فقال لي جاك ، أحسنت يا كديشون ، فأنك خلصت حياة أوجست ، ثم التفت الى اخوانه وقال : أرأيتم كلكم ؟ بأي شجاعة ألقى كديشون بنفسه فى الماء ؟

فأجاب لويس ، نعم شاهدنا ذلك ، ورأينا كيف كان يعوم لتخليص أوجست .

وقالت الىزا : وكيف سحبَهُ بلطف الى البر !

وقال جاك : مسكين كديشون ، فانه مبلول بالماء الكثير

فقالت هنريت : لا تلمسه يا جاك لئلا يبلّ ثيابك ، ألا ترى الماء يسيل من جسمه من كل ناحية ؟

فقال جاك : وماذا فى الأمر اذا كنت أبتلّ بالماء ؟ ثم طوق رقبتى بيديه ، وقال : اذا بلّني الماء فهو لا يبلغ مقدار ما بلّ كديشون .

فقال لويس : فضل من أن تعانق كديشون وتثني عليه ، أن تقوده الى الاصطبل حتى تستطيع هناك أن تنشف جسمه جيداً ، وأن تقدم اليه الشعير استجاعاً لقوته .

فقال جاك ، هذا صحيح ، ومعك الحق ، تعال يا كديشون .

وتبعت جاك ولويس فى ذهابهما الى الاصطبل ، بعد أن أشارا اليّ بأن أتبعهما . فلما دخلنا الاصطبل ، أقبل الطفلان يجتهدان فى تجفيف جسمي ، وكانا يفركانه بقبضة من القش ، ولما تم التنشيف جاءت هنريت وجان بمشط فسرّحا شعر رأسي وذيلي ، فكنت بعد ذلك على أحسن حال ، وتناولت بشهية جيدة كل ما قدموه اليّ من الشعير .

وفى أثناء ذلك قالت هنريت بصوت خافت تخاطب جان :
كديشون عنده شعير كثير جداً .

فأجابت : لا بأس بالزيادة ، فهو طيب جداً ، وهى مكافأة له .

فقالت جان : أنا أستحسن أن نقدم له قليلاً منه .

فقالت هنريت : لماذا ؟

فأجابت جان : لكى نعطي منه قليلاً للأرانب التى ليس عندها شعير مطلقاً ، وهى تحبه كثيراً .

فقالت هنريت : اذا أبصرك جاك ولويس وأنت تأخذين الشعير من كديشون ، فانهما يوبخانك .

فقالت جان : هما لا يريانى ، لأننى أنتظر حتى لا ينظرا اليّ ثم آخذ .

فقالت هنريت : اذن تكوني سارقة ، لأنك تسرقين الشعير من كديشون المسكين الذي لا يستطيع أن يشكو لأنه لا يقدر أن يتكلم .

فأجابت جان وهي متأثرة : هذا صحيح ، ولكن أرانبي تكون مسرورة اذا حصلت ولها على شيء من الشعير .

ثم جلست بقربي تنظر اليّ وانا آكل .

فقالت هنريت : لماذا تجلسين هنا ، ياجان ؟ تعالي معي نسأل عن أخبار أوجست .

فأجابت جان : أنا أفضل أن أنتظر حتى يفرغ كديشون من اكله ، فاذا بقي منه شعير أحمله للأرانب ، و بذلك لا أكون سرقته.

فحاولت هنريت أن تأخذها معها فلم تقبل ، فتركتها وذهبت .

واستمرت جان تنظر اليّ وتراقبني وانا آكل ، وكأنها كانت تقول ، أنا خائفة أن يأكل الشعير كله ، وليته كان يُبقي منه قليلاً ، فانني اكون مسرورة وآخذ ما يتركه لأجل الأرانب .

فأكلت اكثر ما كان أمامي ، ولكني أشفقت على تلك الطفلة الصغيرة ، وأعجبني منها أنها لم تمسّ شيئاً من طعامي مع شدة رغبتها فى اطعام أرانبها ، ولذلك تظاهرت بأنني شبعت ، ورفعت رأسي تاركا بعض الشعير ارضاء لها . فلما أبصرت ذلك فرحت كثيراً و قامت الى مكان الشعير فأخذت منه بيديها ، ووضعته فى طرف مريولها الاسود ،

وقالت ، ما اكرمك وما ألطفك يا كديشون ! انا ما رأيت في حياتي حماراً أحسن منك ، ومن أحسن طباعك ، أنك لست شرهاً تحب الأكل الكثير ، وكل الناس يحبونك لأنك طيب وكريم ، والأرانب ستكون مبتهجة ، وانا سأقول لها انك أنت الذي أبقيت لها الشعير . ثم ذهبت وهي تجري . ورأيتها حين وصلت الى مأوى الأرانب وسمعتها وهي تحكي لهم كيف أنني كنت كريماً وطيباً وأنني لم اكن نهماً ، وانها ستكون مثلي ، وأنه ما دمت أنا أبقيت من طعامي للأرانب ، فيجب على الأرانب ان تبقي من الشعير لصغار الطيور .

ثم قالت للأرانب : وسأعود قريباً لأرى اذا كنتم قنوعين ، واذا كنتم فعلتم كما فعل كديشون . ثم أغلقت الباب على الأرانب وذهبت تسأل عن أوجست ، فتبعتها لكي اطمئن على هذا المسكين ، فلما اقتربت من المنزل سرني أنني رأيت أن أوجست كان جالساً على الخضرة مع اخوانه بكل ارتياح ،

فلما أبصرني قادماً نهض وتقدم اليّ وقال ملاطفاً .

هذا هو الذي أنقذني ، ولولاه لكنت هلكت . وقد كنت فقدت صوابي في اللحظة التي كان فيها كديشون قابضاً على الشبكة حين ابتدأ يجرني الى البر ، ولكنني رأيته جيداً حين ألقي بنفسه في الماء وساعة كان يعوم لأجل انقاذي . فلست أنسى أبداً المعروف الذي صنعه معي ، ولست أحضر الى هنا مرة أخرى بدون أن اسلم عليه واشكره .



أوجست وهو يقدم الحمار الى أهله ويقول هذا هو الذي أنقذني (ص ١٢٦)

فقالت جدته : هذا الذى تقوله حق وصواب يا أوجست ، فان الواجب على كل عاقل أن يشكر من أحسن اليـه سواء أكان انسانًا أم حيوانًا ، أما انا فانني أتذكر دائمًا الخدم التي أداها لنا كديشون . ومهما يكن من الأمر فأنني عزمت على ان لا ادعه يفارقنا .

فقالت كاميل : لكنك منذ اشهر كنت قد عزمت يا جدتي ، على ارساله الى المطحنة ليشتغل فيها .

فأجابت الجدة : نعم ولكنني لم أرسله ، انما خطر ذلك في بالي ، وكان السبب ما حدث منه أولا ضد أوجست حين القاه في الحفرة ، وكان هذا على أثر عدة شكاوي ضده من سكان المنزل ، أما الآن فانني عزمت على الاحتفاظ به في المنزل مكافأة له على خـدماته العديدة ، ولست اكتفي ببقائه عنـدنا بل أريد أن يكون هنا منعماً مستريحاً .

فابتهج جاك وصاح : أشكرك كثيراً يا جدتي ، وانا أحب أن اكون الشخص الذى يعتنى بكديشون ، لانني أحبه وهو يحبني اكثر من الآخرين .

فقالت له جدته :

لماذا تريد أن يحبك كديشون اكثر من حبـه للآخرين ، فذلك ليس من العدل أو الشهامة

فأجاب جاك ،

بل هو العـدل ، يا جدتى ، لأ ننى أحبه اكثر مما يحبه أولاد عمي . وفوق ذلك فانه حينما كان غير صالح ولم يكن أحد يحبه ، كنت انا أحبه قليلاً . ثم أضاف بعد هذه الجملة ، وكنت أيضاً أحبه كثيراً . . . قالها وهـو يضحك ملتفتاً اليّ قائلاً : أليس كذلك يا كديشون ؟

فجئت على الأثر واعتمدت برأسي على كتفه فضحك جميـع الحاضرين ، واستمر جاك يقول ، ألا ترون يا أولاد عمي ؟ وكيف كنتم تظنون أن كديشون لا يحب غيركم ؟

فضحكوا وقالوا نعم . نعم ؟

فقال جاك : ألا ترون أيضاً أننى أحب كديشون ، واننى أحببته دائماً اكثر مما كنتم تحبونه .

فأجابوا كلهم بصوت واحد ، نعم . نعم !

فقال جاك : وانت ترين يا جدتي ، أنه نظراً لأنني أنا الذي احضرت كديشون الى المنزل ، وأنني أحبه اكثر من غيري ، فمن الحق أن كديشون يحبنى اكثر منهم

فأجابت الجـدة وهي ضاحكة : انا لا أعارض في ذلك وهو يسرني ، ولـكن اذا كنت غائباً فمن الذي يعتني بكديشون ؟

فبادر جاك وقال : انا هنا دائماً ، يا جدتي ،

فأجابت جدته : لا ، يا عزيزي ، فانك لا تكون هنا دائماً ، لأنك ستذهب مع أبيك وأمك متى ذهبا .

فاكتأب جاك وظل مفكراً وذراعه ممدودة فوق ظهري ورأسه معتمد على يده ، ثم أشرق وجهه فجأة وقال :

هل تسمحين يا جدتي بأن تهبي لي كديشون ؟

فأجابت : أهبه لك كما تحب ، يا ولدي العزيز ، ولكنك لا تستطيع أن تأخذه معك الى باريس

فقال : هذا صحيح ، ولكنه سيكون لي ، فمتى صار أبي صاحب منزل كبير فاننا نضع فيه كديشون .

فأجابت : أهبه اليك ، على هذا الشرط . والى أن يتم ذلك ، يعيش هنا ، وربما يطول عمره اكثر مني ، فلا تنسى حينئذ ان كديشون لك ، وانني أترك لك العناية به حتى يعيش سعيداً .



١٤
الخاتمة

ومنذ ذلك اليوم استمر جاك يظهر لي حبه الدائم ، وأنا أيضاً كنت أعمل ما في وسعي لكي اكون ظريفاً و نافعاً ، ليس له وحده بل لجميع أهل المنزل ، ولم آسف على الجهد الذي بذلته في تهذيب نفسي ، لأن جميع الناس كان يزداد تعلقهم بي وعطفهم عليّ ، واستمريت على ملاحظة الأطفال ، وحياطتهم من الحوادث ، وحمايتهم من شر الناس وأذى الحيوانات .

وكان أوجست يحضر كثيراً الى المنزل ، ولم يكن ينسى زيارتي كما وعد ، وكان في كل مرة يهدي اليّ تفاحة أو كمثراة أو قطعة من الخبز ، او الملح الذي أحبه خاصة ، وأحياناً شيئاً من الخضروات التي تعجبنى ، ولم يكن يفوته أن يقدم اليّ من لذيذ الاطعمة كل ما يوافق ذوقي . وهذا يدل على أننى كنت مخدوعاً في الحكم بأنه لم يكن طيب القلب ، وانما كنت حكمت عليه هذا الحكم لأنه كان يظهر عليه أحياناً شيء من الكبر والطيش

* * *

والذى دعاني الى تحرير هذه المذكرات وأوجد عندى فكرة

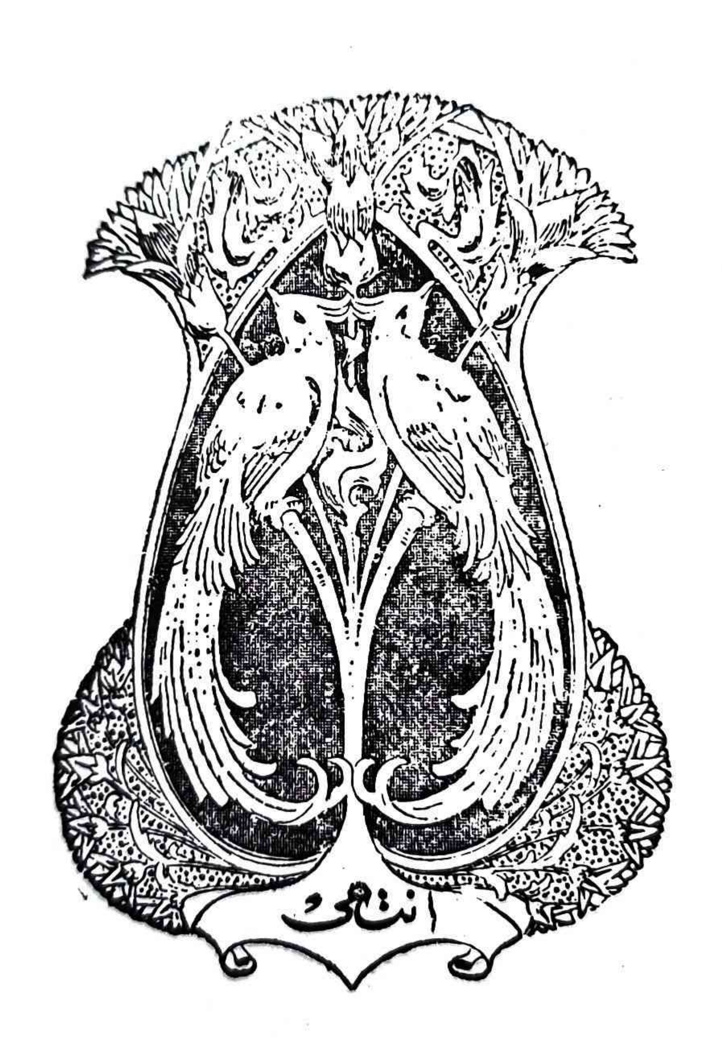
نشرها ،هو ما سمعته في محاورة دارت بين هنرى وأبناء عمه ،فقد كان هنرى يظن دائمًا انني لا أعقل ما أفعل وانني لا أفهم ولا أدرى لماذا أفعله

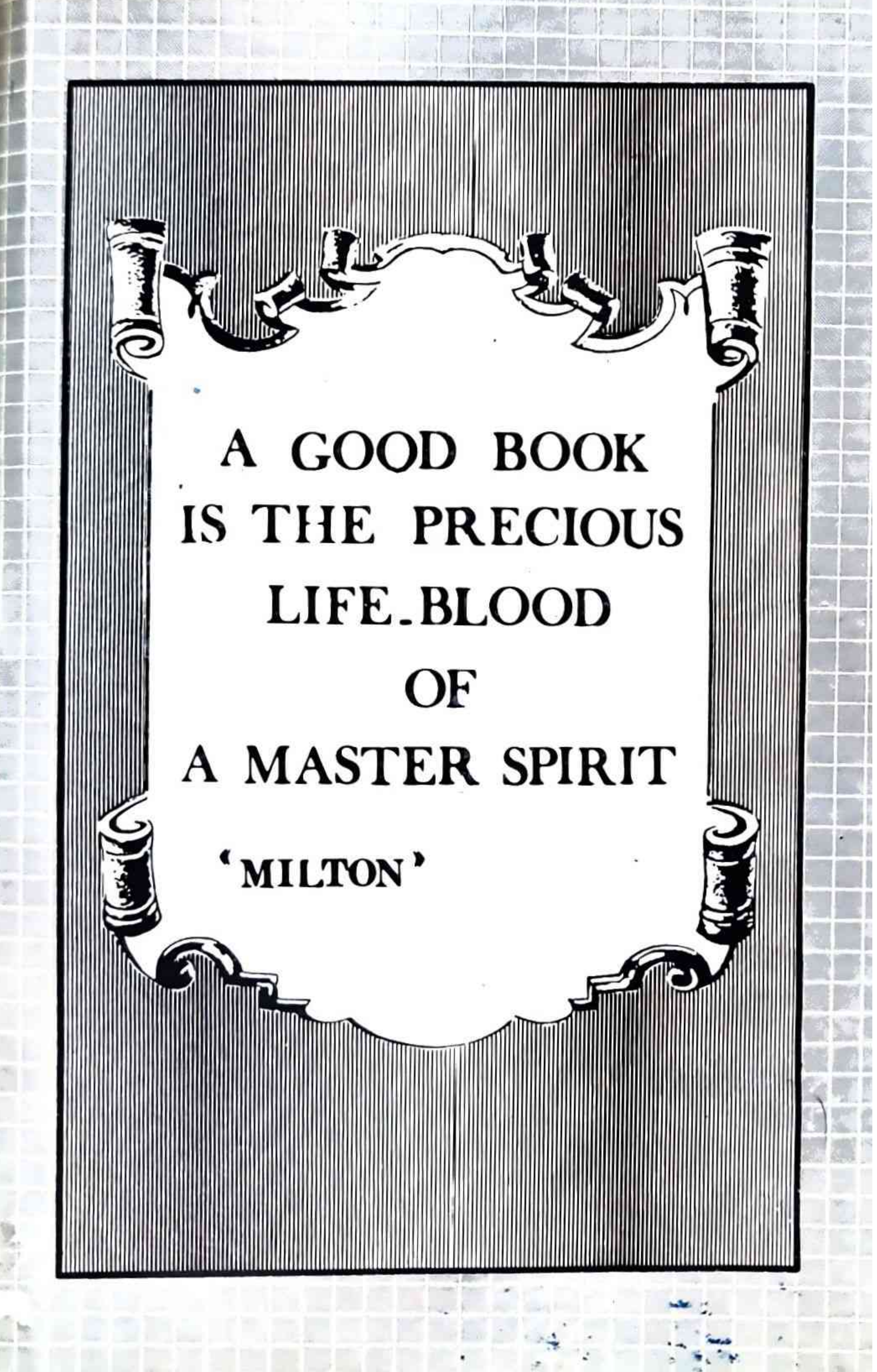
وكان من رأي أبناء عمه ، وخصوصًا جاك ، أنني ذكى مدرك وأن لي ارادة في كل ما أعمل. فانتهزت فرصة فصل الشتاء ، وكان شتاء قارسًا لا أستطيع الخروج فيـه ، فدوّنت بعض الحوادث المهمة مما صادفته في حياتى

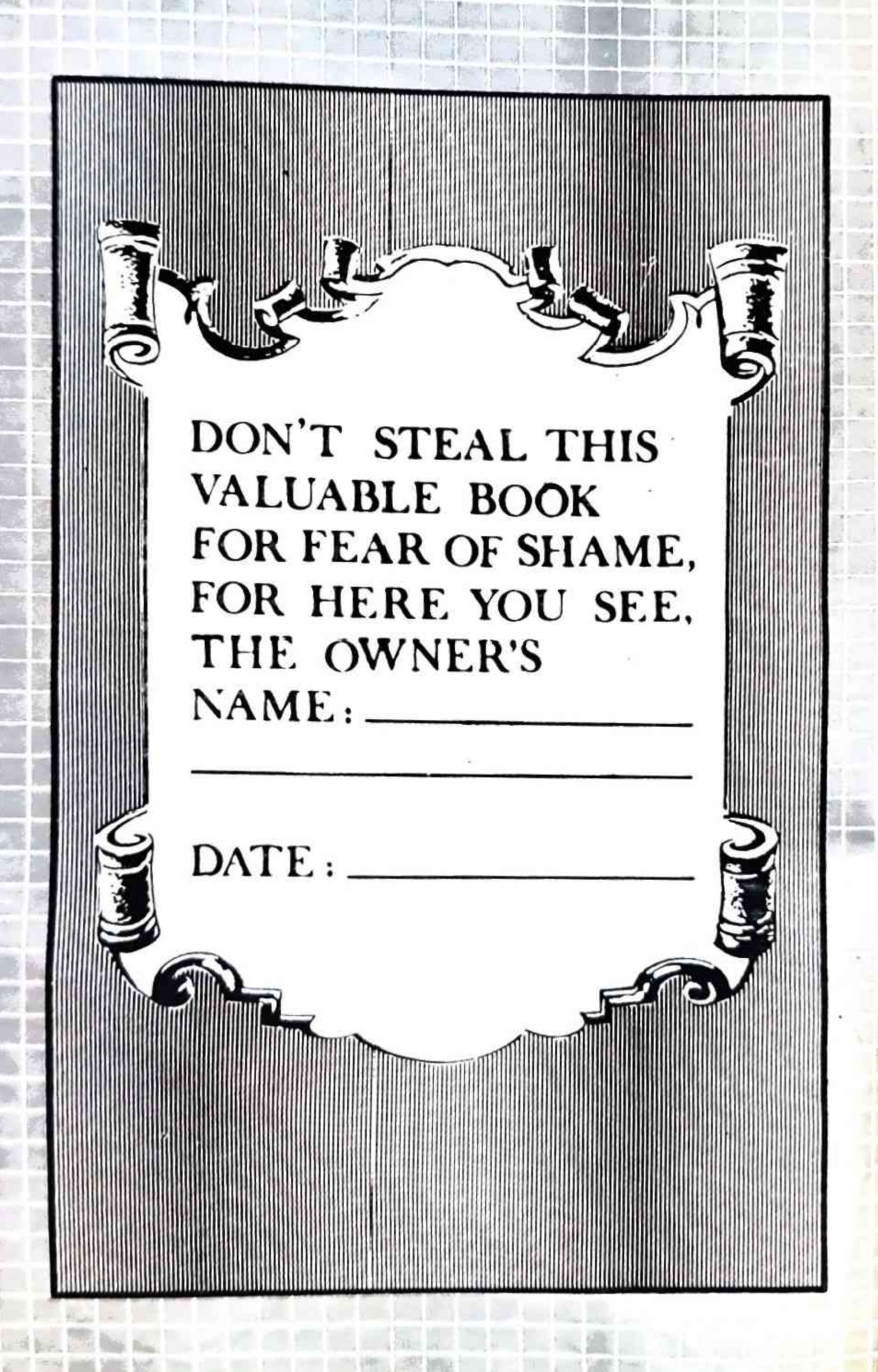
وستجد الناشئة ، في هذه المذكرات ، على ما أظن ، شيئًا من التسلية والفكاهة والموعظة ، وعلى كل حال فانكم ستعرفون منها ، أنه لكي تكونوا مخدومين أحسن خدمة يجب ان تحسنوا معاملة الخدم . وسترون أن الذين يظهرون منهم بمظهر الغباوة ليسوا اغبياء بالقـدر الذي يلوح عليهم ، وان كل حمار له كسائر الحمير قلب يحب به سادته ومن أحسن اليه ، ويتألم به مما يجد من سوء المعاملة ، وان له ارادة تحمله على احسان جزاء المحسن والانتقام ممن أساء ، وأنه يستطيع كما يشاء سادته ، أن يكون سعيدًا او شقيًا . وان يكون بحسب ارادتهم وأعمالهم صديقًا او عدوًا ، مهما يكن الحمار صغيرًا او بائسًا .

وانني أحمد الله على انني أعيش الآن سعيدًا ، محبوبًا من جميع الناس ، معتنى بي كل الاعتناء كما يعتنى بالصديق ، برعاية سيدى

جاك ، ولقد اكتهلت وأوشكت أن أصير هرماً ، ولكن الحمير تعيش كثيراً . وما دمت استطيع المشي وأقدر على العمل فسأجعل كل قواي وذكائي ومواهبي وقفاً على خدمة سادتي .

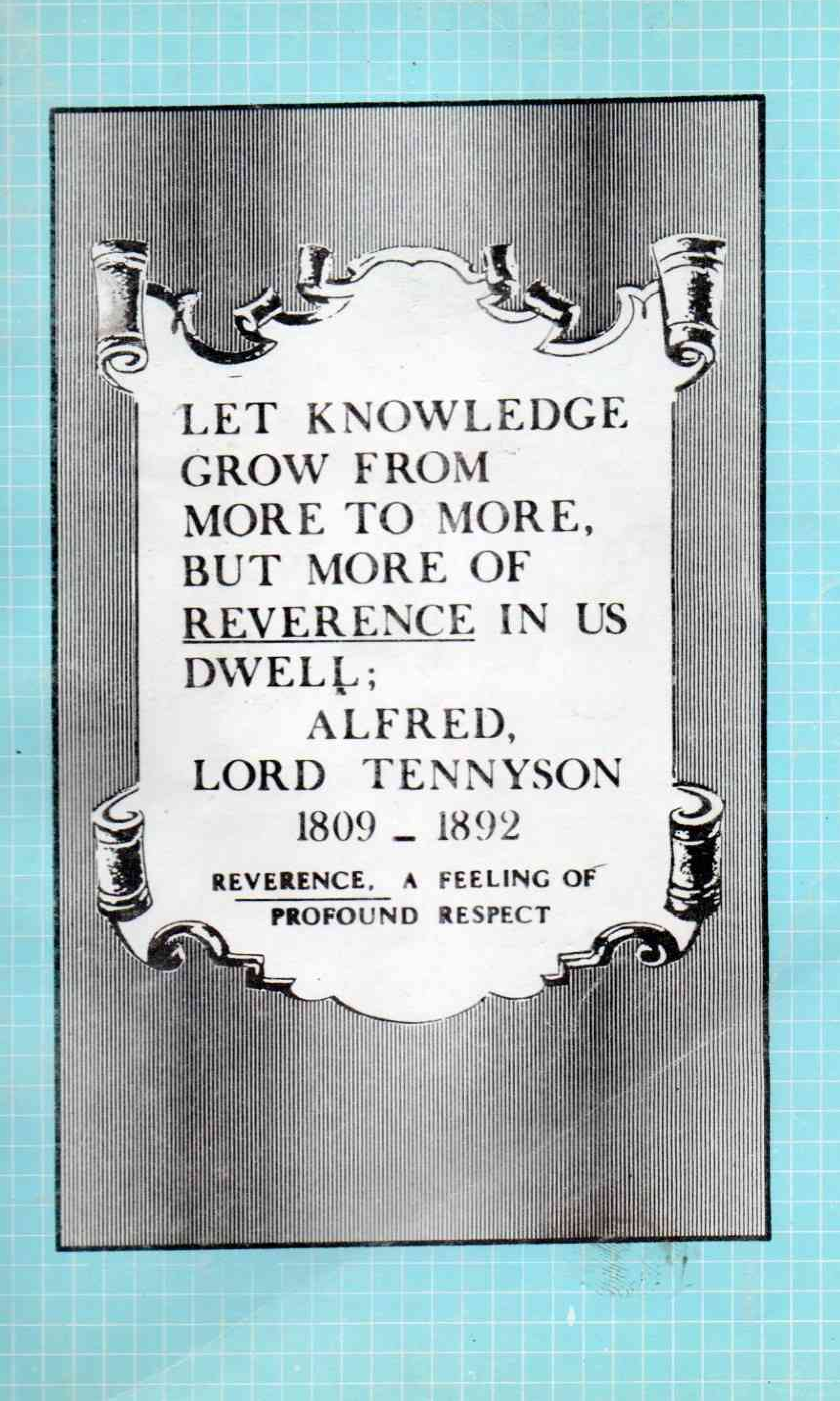



A GOOD BOOK
IS THE PRECIOUS
LIFE-BLOOD
OF
A MASTER SPIRIT
'MILTON'


DON'T STEAL THIS
VALUABLE BOOK
FOR FEAR OF SHAME,
FOR HERE YOU SEE,
THE OWNER'S
NAME: ____________________

____

DATE: ____________________


LET KNOWLEDGE
GROW FROM
MORE TO MORE,
BUT MORE OF
REVERENCE IN US
DWELL;
ALFRED,
LORD TENNYSON
1809 _ 1892
REVERENCE, A FEELING OF
PROFOUND RESPECT